الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

جامعة البويرة

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة و الأدب العربي

آلية تشكّل الحجاج في قصيدة خير بني حواء للكميت بن زيد

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليّسانس

من إعداد :

- مريم شراف
- رشا معيوف
- سمية بيبي
- وردة دالع

تحت إشراف الأستاذ:

عبد الرحمان عبد الدايم

السنة الجامعية: 2017 ـ 2018

إهداء

أحمد الله عزّ وجل على منّه وعونه وتوفيقه لنا لإتمام هذا البحث

إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها.....

إلى كلّ من في الوجود بعد الله ورسوله....أطال الله في عمرها

والدتي العزيزة

إلى سندي وقوّتي وملاذي بعد الله...إلى من احمل اسمه بكلّ افتخار...

أرجو من الله أن يمدّ في عمرك لترى ثمار قد حان قطافها بعد طول انتظار...

والدي العزيز

إلى أقمار حياتي ...إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي

أَخَواتِي وإِخْوَتِي

إلى القلوب الطاهرة والنّفوس البريئة ...إلى رياحين حياتي...

سلسبيل، إسراء، لُجين

إلى كلّ هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

الطالبة: مريم شراف

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ونشهد أن لا أله إلّا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشأنه ونشهد أنّ سيّدنا محمّد عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلّم

بعد شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع

أهدي هذا البحث إلى الّذي وهبني كلّ ما يملك حتى أحقق آماله...

إلى من كان يدفعني قدمًا نحو الأمام لنيل المبتغى....

إلى الإنسان الّذي امتلك الإنسانية بكلّ قوّة...

إلى الّذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام مترجمة في تقديسه للعلم

إلى مدرستي الأولى في الحياة...

أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره

إلى الّتي وهبت فلذة كبدها كلّ العطاء والحنان... إلى الّتي صبرا تعلى كلّ شيء الّتي رعتني حق الرعاية...وكانت سندي في الشدائد، وكانت تدعولي بالتّوفيق تبتغي خطوة خطوة في عملي.. إلى نبع الحنان أّمي أعز ملاك والعين جزاها الله خير الجزاء في الدارين

إلى رمز الحنان جدّتي الحبيبة، إلى رياحين حياتي إخوتي وأختي:

إلياس، آية وإسلام

الطالبة: رشا معيوف

إلى من سهر اللّيالي ... ونسي الغوالي....إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم.

إلى من سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء... إلى الّذي لم يبخل بشيء من أجلي...

إلى أبي رحمة الله وأسكنه جنانه

إلى من أثقلت الجفون سهرًا .... وحملت الفؤاد همًّا.... وجاهدت الأيام صبرًا وشغلت البال فكرًا....

إلى الينبوع الّذي لا يملّ العطاء... إلى أحب الأحباب... غلى أّمي الثانية خالتي

إلى من أرضعتني الحب والحنان ... إلى رمز الحب وبلسم الشفاء...

إلى القلب الناصع البياض... إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل... إلى كلّ من في الوجود بعد الله ورسوله أّمي الغالية.

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي أغلى الغوالي وأحب الأحباب إخوتي وأخواتي

ولا يمكن أن أنسى رفيق الدرب ومؤسس القلب ... إلى سندي الموالي...ومن حمل همّي غير مبالي..إلى من شغل البال فكرًا وحمل القلب حبًا...

إلى من جرع الكأس فارغًا ليسقيني قطرة الحب...

زوجي أغلى الغوالي

إلى القلب الطاهر الرقيق كتكوني رتاج.

الطالبة: وردة دالع

إلى من سهر اللّيالي..... ونسي الغوالي..... وظّل سندي الموالي....

وحمل همي غير مبالي بدر التمام ... والدي الغالي

إلى من أثقلت الجفون سهرًا ... وحملت الفؤاد همًّا....

وجاهدت الأيام صبرًا... وشغلت البال فكرًا ....

رفعت الأيادي دعاءًا.... وأيقنت بالله أملًا....

أغلى الغوالي .... وأحب الأحباب..... أّمي الغالية

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج بذكراهم فؤادي ...

أغلى الغوالي وأحب الأحباب أخواتي وإخوتي.

الطالبة: سمية بيبي

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عيه وسلّم

﴿من لم يشكر النّاس لم يشكر الله ﴾

أبتدئ بحمد الله الرحمان الرحيم على ما تفضّل به علينا من النّعم

والثّناء عليه أن وفّقنا لإتمام هذا العمل الّذي نرجو أن ينفع به

ثّم نتوجّه بخالص الشكر وببالغ عبارات التقدير إلى أستاذنا الفاضل

"عبد الرحمان عبد الدايم" الّذي حبانا بحسن الرعاية وجميل المرافقة

فجزاه الله على كّل خير .

فهرس الموضوعات

إهـــداء

مقدمـــة..... أ

الفـصل الأول: الحجاج والحجاج الخطابي(المفهوم والخصائص).

- مفهوم الحجاج..... ص03
- الحجاج عند برلمان..... ص08
- مفهوم الخطاب الحجاجي..... ص11
- الباثّ والمتلقّي..... ص14
- خصائص الّنص الحجاج..... ص19

الفـصل الثاني: أسلوب وبنية الحجاج في قصيدته خير بني حواء للكميت بن زيد (تطبيقي).

أولا: أساليب الحجاج في قصيدة " خير بني حواء " « للكميت بن زيد».

1. وسائل الإثارة والتأثير..... ص29

1.1 مستوى اللّغة..... ص29

2.1 مستوى البلاغة..... ص30

2. اعتماد الأساليب الإنشائية..... ص38

1.2 السؤال..... ص39

2.2 الوظيفة الحجاجية لأسلوبي الأمر النهي..... ص41

3. توظيف التكرار في الحجاج..... ص44

4. الحجاج بالسخرية..... ص47

5. الضمير المجهول و دوره في الحجاج..... ص49

ثانيا: بنية الحجاج في قصيدة خير بني حواء لـ «الكميت بن زيد»

1. الحجج شبه المنطقية..... ص52

2. الحجج المؤسسة على بنية الواقع..... ص54

3. الحجج المؤسسة لبنية الواقع..... ص56

4. الحجج التي تستدعي القيم..... ص56

خاتمة..... ص60

ملحق..... ص64

قائمة المصادر والمراجع..... ص67

مقدمة

خلق الإنسان وقد ميّزته ملكة فرّقته عن سائر المخلوقات. كانت ملكة الكلام والتخاطب مع أبناء جنسه من البشر وكما يقال: اللّسان آلة البيان ونحا الإنسان مناحي شتى في كلامه وصفات تخاطبه له من موقف تناسبها.

وقد تحدّدت أوجه التخاطب الإنساني بتنوعها بين الخطابات الكتابية والشفوية وكان الخطاب الحجاجي في هذه وتلك، ولم تكن دراسة النّص الحجاجي حديثة ولا من مستجدات العصر إنّما يتوغل بها التاريخ إلى اليونان وما جاء في مؤلفات **أرسطو** ولاسيما عن الخطابة وما توارته العرب عن أصول الخطابة ومميزات الخطب انتهاءً إلى الإرث الفكري الضخم الّذي أحاط بكلّ ما يمكن أن يطرأ على هذا النّص من خلال تطبيقات كبار المفكرين والفلاسفة والفقهاء على مختلف النصوص القرآنية والفلسفية والكلامية.

لقد لقي الشعر اهتمامًا من قبل الدارسين حيث تناولوا فيه جوانب عديدة ظهر فيها كموضوع مثير للنظر والبحث لاسيما فيما وفرته لنا المعارف الحديثة من مناهج وآليات تختلف حينًا وتتعارض بحدّة أحيانًا أخرى، لكنّها تلتقي جميعًا في رغبة ملحّة على كشف أغوار هذا الشعر وتجاوز ظاهره نحو عمق خصائصه المميزة.

وقد اخترنا في مذكرتنا هذه أن ننظر في شعر الشعراء الّذين تركوا بصمتهم في تاريخ الشعر من زاوية جديدة تعنى بالحجاج ، إذ تجدر الإشارة إلى حضور الحجاج في الشعر حضوره في النثر فقد لوحظ أن الشاعر حين ينظم القصيدة أو القطعة أو البيت المفرد احتجاجًا أو دحضًا لفكرة يحدث أن يقف القارئُ عند صورة حجاجية يحللها ويبّين طاقة الإقناع فيها، وهو ما برز أساسًا في شعر **الكميت** شاعر الشيعة حيث احتّج للمذهب ودافع عن العقيدة فهي حجج غامضة تحتاج إلى توضيح وتستوجب منها البحث للتمحيصِ وهو ما أخذناه على عاتقنا في هذه المذكرة، وللنظر في مجموع التقّنيات الّتي يعتمدها الشاعر ليحتّج لرأيٍّ أو يدحضه محاولًا إقناع القارئ وهو ما يقودنا إلى دراسة بنية الحجاج من ناحية وأساليبه من ناحية أخرى ومن هنا نطرح عدّة تساؤلات: **فما هو الحجاج والخطاب الحجاجي؟ وما هي أساليبه وبنيته؟.**

والكميت كان أجلى وأبرز الّذين عرف به بل كاد حديث القدامى عن الحجاج في الشعر يقتصر على شعره وهو الّذي قال فيه الجاحظ ما فتح للشيعة الحجاج إلّا الكميت. وقد انتهت بنا هذه إلى طرح الإشكالية المتمثّلة في: **هل قام الكميت بن زيد بتجسيد كلّ صور بنية الحجاج وأساليبه في قصيدته خير بني حواء موظّفًا خصائص الحجاج في طّيات قصيدته؟.**

وللإجابة عن هذه الإشكالية والأسئلة السابقة عرجنا على خطة تتكّون من فصلين الفصل الأّول بعنوان: الحجاج والخطاب الحجاجي الّذي يتضّمن مبحثًا يحمل أولًا مفهوم الحجاج والخطاب الحجاجي وثانيًا الحجاج عند برلمان والباثّ والمتلقّي في الخطاب الحجاجي وأخيرًا خصائص الحجاج.

وأّما الفصل الثاني فكان بعنوان:أسلوب وبنية الحجاج تطبيقًا على قصيدة خير بني حواء للكميت بن زيد والّذي تضّمن مبحثين المبحث الأّول يحمل أساليب الحجاج في قصيدة خير بني حواء والمبحث الثاني يحمل الحجاج في قصيدة الكميت بن زيد.

الفصل الأول

الفـصل الأول:

الحجاج والحجاج الخطابي(المفهوم والخصائص).

- مفهوم الحجاج
- مفهوم الخطاب الحجاجي
- الحجاج عند برلمان
- خصائص الحجاج
- الباثّ والمتلقّي

مفهوم الحجاج:

تجمع المعاجم اللّغويّة الأساسّية في تعريفها للحجاج على ما جاء في لسان العرب لـ"ابن منظور": «يقال حاججته أحاّجة حجاجا حتّى حججته أي غلبته بالحجج الّتي أدليت بها [...] والحجة: البرهان، وقيل الحّجة ما دافع به الخصم، وقال الأزهري: الحجة الوجه الّذي يكون به الظَّفرُ عند الخصومة، وهو رجل محجاج أي جَدِلٌ، وحجّه يَحجُّه حجًّا: غلبه على حُجَّته. وفي الحديث: فحجَّ آدم موسى أي غلبه بالحّجة.

واحتجَّ بالشيء: اتّخذه حجَّة، قال الأزهري: إّنما سميت حجَّة لأّنها تَحُجُّ أي تقصد لأّن القصد لها و إليها».[1]

نجد أّنه يقرن الحّجة بالبرهان حينا وبالخصومة حينا آخر فهو يفترض وجود تخاصم بين متخاطبين فيعمد كلّ منهما إلى حّجة ودليل حتّى يحصل له الغلبة والفوز، كما قرنها بالجدل.

يعرّف ابن فارس في مقاييس اللّغة الحجاج على النحو التالي: " يقال حاججت فلانا فحججته أي غلبته بالحّجة وذلك الظفر يكون عند الخصومة والجمع حجج والمصدر الحجاج ".[2]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان: ط4، 2005، مادة(حَجَجَ)، ص:47.

[2] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ط1، مج2، دار الجيل، بيروت، 1991، ص:27.

وقد ورد المصطلح في الصحاح: " الحجة: هي البرهان. وحاجه فحجة من باب رد أي غلبه بالحجة، وفي مثل: لج فحج فهو رجل محجاج بالكسر أي جدل التحاج: التخاصم والمحجة بفتحتين جادة الطريق ".[1]

كما تناول الزمخشري مصطلح "الحِجاج" في كتابه "أساس البلاغة" حيث يقول: " حَجَجَ" احتج عل خصمه بحجة شبهاء وبِحُجَجٍ شهب، وحاج خصمه فحجه. وفلان خصمه محجوج وكانت بينهما مَحاجَّة وملاجَّة ".[2]

يظهر لنا من خلال التعاريف السابقة أنّ المعاجم القديمة اشتركت في نقطة واحدة وهي أنّ الحجاج بكسر الحاء يكون أثناء المخاصمة بين شخصين، حيث اعتبروا الحجة كوسيلة يستعملها المتكلم للتغلب على خصمه.

أمّا معجم المنجد في اللغة والأعلام لـ "لويس معلوف" فيعرّفه:

حجّ، حجًّا: غلبه بالحجة.

حجًا حجاجًا: خصمه فحجَّه.

الحجَّة: ج حَجَجَ وحِجاج: البرهان.[3]

---

[1] الرازي، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1967، مادة(حجج)، ص:122 ـ 123.

[2] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، بيروت، 1992، ص:113.

[3] لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ط، ت، ص:118.

* أمّا الحِجاج اصطلاحا فيجدر بنا أن ننهل لما قاله علماؤنا قديما وحديثا فيه، حيث قال أبو الوليد الباجي: " وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا لأنّه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حُجَّة ولا اتضحت محجة ولا عُلم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم ".[1]

وهذا يعني أنّ الحجاج علم من العلوم له أركانه وطرائقه و وجوهه المميّزة له، والمحدّدة لماهية وغاية هذا العلم معرفة الحقيقة و تمييز الدقيق بين الحق والباطل والصواب والخطأ وما شابه ذلك من المتناقضات، ومن هنا يكتسي هذا العلم أهمية وقيمة.

وقد اشتغل حديثا بالحجاج ثلة من الدارسين من بينهم "طه عبد الرحمان" وخاصة في كتابه: "اللسان والميزان أو التكوثر العقلي" الذي عقد فيه بابا كاملا سمّاه "الخطاب والحجاج" واستعرض فيه أنواع وأصناف الحجج، وقد عرّف فيه الحجاج بقوله: "إن الحجاج هو كلّ منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها".[2]

والحجاج حسب رأيه هو الآلية الأبرز التي يستعمل فيها اللغة ويتجسد من خلالها الإقناع.

---

[1] أبو الوليد الباجي، المخارج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التركي، ط2، دار المغرب الإسلامي، المغرب، 1987، ص:08.

[2] طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998، ص: 226.

كما يقول في موضع آخر: " وللحجة وجهان تختص بهما يتمثل الأول في إفادة الرجوع والقصد، فالحجّة مشتقّة من فعل حَجَّ الّذي يعني رجع فتكون الحجة أمرا ترجع إليه أو نقصده لحاجتنا إلى العمل به [...] والثاني يتمثل في إفادة الغَلَبَةُ ذلك أنّ الفعل حجَّ يدل أيضا على فعل غلب فيكون مدلوله هو التزام الغير بالحجّة ".[1] ويركز هنا طه عبد الرحمان على المفهوم اللغوي للحجاج ويرى أنّ له وجهين أولهما: القصد وثانيهما: يتمثل في الغلبة بالحجة.

أمّا مسعودي الحواس فيرى: " أنّ الخطاب الحجاجي هو خطاب موجه وكلّ خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضّرورة بعد حجاجي ".[2]

إذن الحجاج وسيلة من وسائل الإقناع يتوصل بها المرسل للتأثير على المتلقي أو دحض آرائه، فبواسطة الحجج ندرك شخصية وإمكانات هذين القطبين(المرسل والمتلقي)، ويعطي طه عبد الرحمان للحجاج صيغتين رئيسيتين: " فهو تداولي؛ لأنّ طابعه الفكر مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجيهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية إنشاءًموجها بقدر الحاجة"،[3]

---

[1] طه عبد الرحمان، المرجع السابق، ص: 137.

[2] الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل أنموذجا، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، عدد 12 ديسمبر 1997م، ص:330.

[3] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط1، 2000م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص:65.

" أمّا الصّفة الثانية فتتمثل في كونه جدليا لأنّ هدفه إقناعي قائم بلونه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البُنيات البرهانية الضّيقة كأن تبنى الانتقالات فيه لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان بل على هذه الصور مجتمعة على مضامينها أيما اجتماع وأن يطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج ".[1]

إنّ هدف الحجاج إقناعي، وقد ذهب بالقول إلى هذا عبد الهادي بن ظافر الشهري حيث ورد تعريفه مربوط بالإقناع فيقول: " الحجاج هو الآلية الأبرز الّتي يستعمل المرسل اللغة فيها وتتجسّد عبرها إستراتيجية الإقناع ".[2]

أمّا فيليب بروتون *Philippe Proton* فيرى أنّ الحجاج عملية تواصل مع الآخر من أجل التأثير وهذا التأثير ينتج من خلال استعمال وسائل مختلفة وذلك في قوله: "الحجاج وسيلة قوية يهدف إلى تقسيم وجهة النظر مع الغير (والّذي يمكن أن تكون من نتائجه التأثير). مستبعدا ممارسة العنف المقنع مستعينا بالأفواه والبرهنة العلمية".[3]

ندرك من هذه التعاريف كلها أنّ "الحجاج" يعتمد أساسا على مرسل ومرسل إليه

---

[1] طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط1، 2000م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص:65.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب:"مقاربة لغوية تداولية"، ط1، 2004م، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت ص: 456.

[3] المرجع نفسه، ص: 457.

حيث يعود الدور الكبير في هذه العملية إلى المرسل نظرا لما يبذله من جهود ذهنية للحصول على حجج مقنعة، وعليه أن يكون بارعا في اختياره لهذه الحجج نظرا لتفاوتها في درجات الإقناع.

1/ مفهوم الحجاج عند برلمان:

يقدم برلمان تعريفا للحجاج يجعله جملة من الأساليب تصطلح في الخطاب بوظيفة هي حمل المتلقي على الإقناع بما نعرضه عليه أو الزّيادة في حجم هذا الإقناع[1] معتبرا غاية الحجاج الأساسية إنّما هي الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل[2] على هذا النحو تبين أن مؤلف برلمان وتيتيكاه الموسوم"بمصنف الحجاج: الخطابة الجديدة" إنّما ينزل الحجاج في صميم التفاعل بين الخطيب وجمهوره، وصلة هذا العمل بالخطابة الأرسطية واضحة و لكن المؤلفين لم يكتفيا مع ذلك بمجرد الأخذ والتقليد بل استندا في تعريفهما للحجاج على صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية أخرى فإنّهما حرصا كلّ الحرص على جعل الحجاج أمرا ثالثا مفارقا لهما رغم اتصاله بهما، فالحجاج حسب التعريف المذكور يأخذ من الجدل التمشي الفكري الذي يقود إلى التأثير الذّهني في المتلقي واذعانه نظريا مجردا لفحوى الخطاب وما جاء فيه من خطاب أي آراء ومواقف وهو يأخذ من

---

[1] برلمان وتيتيكاه، مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، المطابع الجامعية بليون، 1981، ج1، ص:13.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص98.

الخطابة أيضا توجيه السلوك أو العمل والإعداد له والحض عليه ولكّنه يظلّ مختلفا عن الخطابة والجدل من جهة كسره للثنائية التقليدية وجمعه بين تأثير نظري وتأثير سلوكي عملي فهو خطابة جديدة بالفعل متسعة كما رأيناه.[1]

2/ الحجاج في اللغة:

إنّ الحديث عن الحجاج في اللغة يقتضي منّا التّوقّف عند مؤلفات ديكرو لاسيما كتابه"الحجاج في اللغة" الّذي شاركه في تأليفه جان كلود انسكمبر، وفيه تحدّث عن الحجاج عند برلمان فهو حجاج يقوم على اللغة بالأساس بل يكمن فيها .

بينما عرّف برلمان الحجاج باعتباره مجموعة من الأساليب والتقنيات في الخطاب تكون شبه منطقية أو شكلية أو رياضية.

وقد بّين ديكرو وانسكمبر أنّ الحجاج باللغة تتابع وترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججًا تدعم وتثبت بعضها الأخر[2] أي أنّ المتكلم إنّما يجعل قولا ما حجة لقول أخر هو بلغة الحجاج نتيجة يروم إقناع المتلقي بها وذلك على نحو صريح واضح أو بشكل ضمني بمعنى آخر أنّ المتكلم قد يصرح بالنتيجة وقد يخفيها فيكون على المتلقي استنتاجها لا من مضمون هذه الأقوال الإخبارية بل اعتماده على بنيتها

---

[1] فريق البحث في البلاغة والحجاج إشراف حمادي حمود، أهم النظريات الحجاجية في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، مجلد *XXI X*، سنة 1998، ص: 298.

[2] ديكرو وانسكمبر، الحجاج في اللغة، بروكسل، 1983، ص: 28.

اللغوية فحسب.

على هذا النحو يتنزل الحجاج عند ديكرو وأتباعه في صميم المدرسة البراغماتية الّتي عرف روادها بأّنهم ينكبون على الأشكال الدلالية مقابل انكباب البنيويين والتحاة التوليديين على الأشكال الدالة ويعتبرون المقام اللغوي في مقابل اهتمام الدراسات السابقة بالنظام اللغوي، وينظرون في القول بعد أن كان النظر اللغوي يبحث من الجهاز المتحفي وراء القول ويتساءلون في علاقة اللغة بالكلام وجدوى التعريف بينهما بعد أن كان اللغويون جازمين في إبعادهم إنجاز الكلام عن الدراسة العلمية.[1]

فبمقتضى انشغالها بوظائف الخطاب يصبح مفهوم التفاعل مؤسسا في أبحاث أصحابها إذ في وضع معين يحدث الباثّ جملة من الأعمال الإقناعية ذات الصلة وطبيعة بلاغية معقدة تفعل في المتلقي الذي يحدث بدوره جملة من الأعمال التّأويلّية والتفسيرية لما ورد في الخطاب وخاصة لما سكت عنه فيه.

ومن المهم الإشارة إلى مفهوم أساسي في نظرية ديكرو الحجاجية وهو مفهوم التوجه إذ اعتبر أنّ عناية الخطاب الحجاجي تتمثل في أن تفرض على المخاطب نمطا من النتائج باعتبارها الوجهة الوحيدة الّتي يمكن للمخاطب أن يسير فيها.[2]

---

[1] محّمد صلاح الّدين الشريف، تقديم عام للاتجاه البراغماتي، أهم المدارس اللسانية، مارس 1986، ص: 95.

[2] ديكرو، اليلالم الحجاجية، منشورات مينوي، باريس، 1980، ص: 60.

مفهوم الخطاب الحجاجي

1. الخطاب لغة: لم يخرج ابن منظور في تعريفه "الخطاب" وتحديد مفهومه عن دلالة الكلام ومعاييره، وهو ما ذهب إليه الكثير من علماء اللغة قديما وحديثا، يقول ابن منظور: « الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاًبا وهما يتخاطبان، والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب بخطب خطابة، واسم الكلام الخطبة [...].

وذهب أبو إسحاق إلى أنّ الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع، ونحوه وفي التهذيب: الخطبة مثل الرسالة الّتي لها أول وآخر».[1]

2. الخطاب في الدراسات اللغوية الحديثة:

يورد إبراهيم صحراوي في كتابه "تحليل الخطاب الأدبي"، إحاطة شبه تامة بهذا المصطلح حيث يرجع ظهوره في حقل الدراسات اللغوية إلى الغرب، أين نما وتطّور في ظل التفاعلات الّتي عرفتها هذه الدراسات[2]

ولاسيما بعد ظهور كتاب **فرديناند دي سويسر**: «محاضرات في اللسانيات العامة». وقد خضع مفهوم هذا المصطلح للتعدد بناءا على تعدد مدارس واتجاهات الدراسات

---

[1] ابن منظر، لسان العرب، مادة(ح، ط، ب).

[2] إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي ـ دراسة تطبيقية، در الأفاق، الجزائر، ط1، 1999، ص: 09.

اللسانية الحديثة، وتضمن بهذا كل خصائص هذه الاتجاهات حتى استشكل تعريفه.

ويعزو تعدد دلالات الخطاب إلى خروج تحليل الخطاب عن المجالات اللسانية أحيانا وننتهي إلى تعريفه كما يلي:

1. الخطاب مرادف للكلام عند "دي سوسير" وهو المعنى الجاري في اللسانيات البنيوية.
2. هو الوحدة اللسانية الّتي تتعدد الجملة فيها وتصبح مرسلة كلية أو ملفوظة.
3. الخطاب ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض.[1]

ثّم إنّ الخطاب الحجاجي هو خطاب غائي موجه، غايته القصوى إقناع المتلقي بما يحمله من أفكار وما يعرضه من مواقف أو إغرائه بهذه الأفكار وتلك المواقف ليحدث في نهاية المطاف أثرا واضحا في المتلقي لا من حيث أفكاره فحسب بل من حيث مواقفه وما قد يكون له من سلوك واقعي ملموس، وتحقيق هذا التغيير أو التبدّل في أفكار المتلقي ومواقفه يعد علامة نجاح الخطاب الإقناعي و وجاهة الحجاج المتعمد أو هو النتيجة المتوقعة لخطاب ناجح وحجاج وجيه ناجع.[2]

---

[1] نور الّدين الشد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، دار هومة، الجزائر، د. ط، 1997، ص: 27.

[2] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ـ بنيته وأساليبه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، جدار الكتاب العالمي، ط1، 2008، صك 35.

ولا تتحقق تلك النجاعة إلّا بتوفّر جملة من الشّروط تحدّث عنها الدارسون بإسهاب وفصلوا القول فيها تفصيلا ونرى من الضروري الوقوف عند أهمها:

أوّل هذه الشّروط وأظهرها، أنّ أيّ خطاب حجاجي يتوق وينشد الفعل في الأخر ومن ثمة في الواقع ينبغي أن يسعى إلى إظهار "الحياد" أي الإيهام بأنّه لا ينحاز إلى رأي بعينه ولا يتعصّب لموقف محدّد وأنّ ما يعرضه في الخطاب هو واقع لا مراء فيه وحقيقة لا سبيل إلى دحضها.

أمّا الشّرط الثاني فهو التّناغم البيّن والانسجام الجلي بين مفاصل الخطاب ومختلف مكوناته فلا مكان للتناقض في الخطاب الحجاجي الناجع؛ والحرص على تناغم الخطاب الحجاجي يعني الحرص على توضيح الرؤية.

الباثّ والمتلقي في الخطاب الحجاجي:

إنّ الخطاب الحجاجي وهو يعرض فكرة ما ويحتّج لها احتجاجا قد يكون صارما دقيقا، وقد يفتقر أحيانا إلى الصرامة والدّقة المنشودتين، إنّما يهدف كما رأينا إلى إقناع المتلقي وإغرائه أو حمله على الإذعان دون اقتناع حقيقي، ونجاعة هذا الخطاب إنّما تكمن في مدى قدرته على اقتحام عالم المتلقي وتغييره، إذ أنّ الحديث عن وضعية ما خارج الخطاب يمكن أن ينتهي بتغييرها لا على مستوى الفكرة فحسب بل على مستوى الوقائع وهذا يعني لا سبيل إلى دحضها هي ارتباط الخطاب الحجاجي بوضعية كلّ من الباثّ والمتلقي. وتعتبر نظرية برلمان في هذا المجال هامة ومفيدة ذلك أنّه تناول مسألة الحجاج، أكّد خاصيتي "التفاعل" (*interaction*) و "التحاور" (*dialogique*) في كل خطاب حجاجي، مشيرا في الوقت ذاته إلى ارتباط هذا الخطاب بوضعيّة طرفيه بحيث يبدو التّناقض جلّيا بين إستراتيجيات الإقناع والاستدلال الصّوريّ الّذي يتناول الحقائق العامة دون التّقيّد بالسّياق وباعتماد قواعد صوريّة كونية.

ويذهب برلمان إلى أنّ الخطاب الحجاجي وهو يلزم الباثّ بوجهة نظر معينة ويتخذ من إقناع المتلقي بها هدفا أساسيا إنّما يبتعد عن كونه مجرد "تواصل" عادي من جهة أنّه لا يقوم على مجرّد التّبليغ الّذي يقتضي من المتلقي مجرّد فكّ الرموز بواسطة اللغة ليكون الفهم بل يقوم على الفعل في هذا المتلقي ويقتضي منه تأويلا محدّدا للخطاب وبهذا وحده يكون الحجاج ناجحا والخطاب ناجعا لأنّه يمكّن من تغيير وضعية سابقة

له، ويخلص برلمان من هذا كلّه إلى نتيجة أساسية مفادها أنّ العلاقة بين الباثّ والمتلقي ليست معطى (*Une donnée*) كما هي من وجهة نظر "سكونية" (*Statique*) بل هي "موجّه" يقود الخطاب في كلّ مراحله (*Orientation*) وهو ما يقترب كثيرا في نظرنا من النظرية البلاغية القديمة وتحديدا من حديث القدامى عن خصال الخطيب أو المتكلم عموما وأصناف المخاطبين ومقتضيات المقام[1] حديثا تشعّب ليورد كل ما يخص الخطيب من وسائل مساعدة ابتداء من هيئته وانتهاء بثقافته أي العنصر المسرحي وعنصر الرّصيد الثقافي المتنوع المحيط بالموضوع وهما العنصران المكملان لعنصر العبارة أو الأسلوب وعنصر المقام والأحوال.

على أنّ اهتمام برلمان بهذا الأمر قد قاده إلى تصنيف آخر مشهور هو حديثه عن المتلقي الخاص (*Particulier*) والمتلقي الكوني (*Universel*) مؤكدا أنهما وباعتبارهما موجهين كما قدمنا يحددا نوع الخطاب الحجاجي، فالمتلقي الخاص باعتباره الهدف(*la able*) في الخطابات التي ترمي إلى الإقناع يجعل من هذه الخطابات تنزع إلى الإغراء والحمل على الإذعان أكثر من كونها ترمي إلى تحقيق الاقتناع الفكري بما يدافع عنه وتحتج له، في حين يجعل المتلقي الكوني أي خطاب حجاجي إقناعا فكريا خالصا.[2]

---

[1] يقول ابن رشيق في هذا الإطار:(والفطن الحاذق يختار الأوقات ما يشاكلها وينظر في أحوال المخاطبين فيقصد محابهم ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره..." العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حقّقه وفصله وعلّق حواشيه محمّد محي الّدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1981، ج1، ص: 223.

[2] برلمان وتيتيكاه، مصنف في الحجاج، ص: 36.

على أن هذا التصنيف يبدو قابلا للّقد مثيرا للجدل، وقد أثار فعلا نقاشا هاما ومفيدا ذلك أنّ بعض الدارسين رأوا أنّ مفهوم المتلقي ذاته مفهوم مزدوج(فكل متلقي خاص هو من ناحية معطى تجريبي يلتقيه الباثّ دون أن يختاره ولذا عليه أن يطوع له خطابه وهو من ناحية أخرى مجموعة عليه بحكم خطابه أن يتمثل بعض خصائصها.

وأن يتوقع ردود فعلها ففكرة المتلقي إذن تحيل على واقع ومفهوم معا في حين أنّ المتلقي الكوني والّذي يتوجّه إليه الخطاب الفكري الخالص لا يمكن إلّا أن يكون معيارين(*Normatif*) أي مستبقا (*Anticipé*) ومؤسسا من قبل الباثّ وليس له أية حقيقة تجريبية.[1]

وقد تساءل بعض الباحثين من جهة أخرى عن مشروعية الحديث عن متلقي كوني؟ خاصة وأنّ ذلك من شأنه أن يوقعنا في تناقض بين إذا ما أكّدنا ارتباط الحجاج المبدئي بالواقع وبوضعية كلّ من الباثّ والمتلقي بل إنّ الحديث عن متلقي كوني يقتضي أن يكون هذا المتلقي محايدًا لا يملك أفكارا مسبقة عن موضوع الخطاب الحجاجي وليست له مواقف خاصة تميزه وتوجه الخطاب تبعًا لذلك وجهة معيّنة دون أخرى، فهل هو الإنسانية المفكرة عموما؟ إن مخاطبة المتلقي الكوني وإدعاء وجوده قد يكون من قبيل التكلف المقصود الموظف، ففي الخطابات السياسية كثيرا ما يوجه

[1] ماري جان بورال، وجان بلاز قريز ودنيس ميافيل، محاولة في المنطق الطبيعي، ص: 25.

الخطاب إلى رجل الشارع بل إلى الإنسان في معناه المطلق وعندها يلتبس الحجاج بالايديولوجيا، بذلك يؤكد الباثّ إطلاقية مبادئه وكونية آرائه وإنسانية نزعته، ويضرب أوليفي روبول، لذلك مثلا حين يقول: (فحين يصبح روسو أيها الناس كونوا إنسانيين أليس خطابه موجها في الواقع إلى المثقفين في عصره من الباريسيين؟ إن التوجه إلى الإنسان خارج مستمعه الواقعي هو استعمال لصورة بلاغية هي الالتفات[1]، غير أن الحديث عن متلقي كوني له. مع ذلك جانب إيجابي هام إذ يمكن أن يضطلع بوظيفة نبيلة هي تحقيق المثال الأعلى الحجاجي (*L'idéal argumentatif*) ذلك أنّ الباثّ يعلم أنّه يخاطب متلقيا خاصا لكنه يخصه بخطاب يحاول فيه تجاوزه مخاطبا من هم أبعد منه أي متلقين مختلفين أخذا بعين الاعتبار آفاق انتظارهم، ومختلف اعتراضاتهم الممكنة، لكن بشكل ضمني خفي وهو ما أكده روبول في قول واضح دقيق(الواقع أن المستمع الكوني قد لا يعني التعتيم بل المثالية أي فكرة منظمة بالمعنى الكانطي، إنّي أعلم أنّي أتعامل مع مستمع الكوني مجرّد خدعة بل يصير مبدأ للتجاوز ويمكن بذلك أن نتحدث عن استعمال قويم للالتفات).[2]

من خلال ما تقدم ننتهي إلى أن الحديث عن الباثّ والمتلقي وتحليل أوجه العلاقة بينهما أمر هام وضروري في دراسة أي خطاب حجاجي، ذلك أن وضعية كل من

---

[1] أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، ترجمة محمّد العمري، ص:77.

[2] المرجع نفسه، ص: 78.

طرفي الخطاب ونوع العلاقة بينهما تشكلان نقطتي اختلاف رئيسيتين بين البرهنة الرياضية أو المنطق الصوري من جهة والحجاج من جهة أخرى، فمن البرهنة والمنطق إلى الحجاج يتخذ دور الباثّ نسقا تصاعديا فإذا كان لا دخل له البتة في نجاعة البرهنة وصحة الاستدلال المنطقي فإنه يصبح أساسيا متى تعلق الأمر بتقنيات الإقناع في الخطاب الحجاجي.

فإذا به يؤسس صورة للباثّ ينتقي عناصرها بدقّة متناهية لأّنها تشكّل حجر الزاوية فيه، من هنا كان الحديث مثلا عن حجة السلطة(*Argument d'autorité*) كما سنرى لاحقا حين نحلل النّصوص الشعرية من زاوية حجاجية.

ومن هنا أيضا كان الحديث عن كلّ ما له صلة بالـ ايتوس(*L'Ethos*) في النظرية البلاغية اليونانية أي بصورة الباثّ ذاته كما نحتها بنفسه وهو يؤسس خطابه.[1] وما قيل في خصوص الباثّ ينسحب أيضا على المتلقي فالبرهنة أو المنطق الصوري يتوجهان فعلا إلى المتلقي الكوني إذ تظل البرهنة برهنة بالنسبة إلى الناس جميعا في حين يبدو جليا أنّ فنّيات الإقناع في أي خطاب حجاجي غير ذات قيمة إلّا بالنسبة إلى المتلقي الخاص فردًا كان أو مجموعة، على أنّ الحجاج في أرقى صورة(في فلسفة مثلا) ينزع عبر التوجه إلى متلق خاص إلى إقناع المتلقي الكوني إضافة إلى أن

[1] لعلم مثلا خطاب السياسي والشعار الاشهاري يعنيان عناية واضحة برسم صورة للباثّ تنزع إلى المثالية وتراهن على الأفضلية المطلقة في كل الأحوال.

الحجج تزداد قوة كلما افترضت جمهورا من المتلقين أوسع وأخذت على عاتقها إقناعهم بطريقة أرقى وأفضل.

1. خصائص النّص الحجاجي:

إنّ الاستعمال الحجاجي للكلام يبرز للحجاج سمة مميّزة فكلّ حجة تفترض حجة مضادّة ولا وجود البتة لحجاج دون حجج مضادّ باعتبار أنّ الحقيقة متى تنزّلت في إطار العلاقات الإنسانيّة والاجتماعية صعب إدراكها وأضحت محل نزاع وجدال في غياب الحجج المادّية والموضوعية.

فميدان الحجاج إذن ليس الصّادق الضّروري وما يميزه عن البرهنة إنّما الممكن المحتمل لذا يقول جيل **دكلارك:** إنّ الحجاج وهو يتّخذ من العلاقات الإنسانية والاجتماعية حقلا له يبرز كأداة لغويّة وفكرية تسمح باتّخاذ قرار في ميدان يسوده النّزاع وتطغى عليه المجادلة.[1]

والواقع أنّ التعريفات الّتي قدمت للحجاج نحاول محاصرة هذا المفهوم محاصرة دقيقة صارمة تنتهي في أغلب الأحيان إلى الحديث عن النّص الحجاجي مقارنة إيّاه بما باينه من النّصوص علّها تنجح في توضيح هذا المفهوم بشكل علميّ دقيق فتلجأ بذلك إلى طريقة في التّعريف قديمة ولكنّها ناجحة نقوم على بيان نقاط التمايز والخلاف

[1] جيل دكلارك، فن الحجاج البنى الخطابية والأدبية، المنشورات الجامعية، 1922، ص: 34.

فيعرّف النّص الحجاجي بما ليس في غيره.

ويتجلّى للأذهان بما يميّزه ويشكل خصوصيّته ولذا فإنّه من الممكن تقسيم النّصوص من حيث خصائصها المميّزة إلى الأقسام التّالية: [1]

1. **النّص الخبري**: وهو نص يستجيب إلى هدف أساسي يتمثّل في الإعلام والإخبار والتّنبيه، هذا الصّنف من النّصوص ينشد عادة هدفا ثانويًا هو نشر ضرب من المعارف، الأمر الّذي لا ينزّهه عن اعتماد الشائعات وترديد ما يقال وما يتناقل فيسقط أحيانًا كثيرة في ضرب من الثّرثرة.

2. **النّص التّحليلي**(***Analytique***): هذا الصّنف من النّصوص يرصد لنفسه هدفا أساسيًا هو الفهم فيقوم تبعا لذلك على عمليتّي الشّرح والتأويل وما يقتضيانه من ترتيب وتبديل.

3. **النّص توجيهي**(*Editorial*): إن تناول قضيّة ما فإنّه يعمد إلى بيان مكانها وما عليها مؤكّدا محاسن موقف ما ومساوئه مثيرًا للمبادئ والقيّم مذكّرًا بالتاريخ.

4. **الدراسة**(***Essai***): لما كان الدّارس مفكّرًا قيل كلّ شيء كان من الطبيعي أن ينشغل

---

[1] نجد في الحقيقة عدّة تقسيمات نظرية للّنصوص من أهمها تقسيم يحصرها في أصناف خمسة: وصف وقصّ وعرض وحجاج إيعاز وهو تقسيم ورليش في كتابه: تصنيف النصوص، هيدلبرغ كيل مبار، 1975م.

وقد اخترنا التقسيم المذكور قصدا لأنّه يبّين بدقة الفوارق بين النصوص، ورد هذا التقسيم في كتاب: بنوارونو، النص الحجاجي ، منشورات كيباك، 1993م.

هذا الصّنف من النّصوص بالنّظر في قضايا مختلفة وأن يبحث في حلول بطريقة جادة ومنهج صارم وتفكير بنّاء.

5. نص الرّأي(*Texte d'opinion*):جوهره تقويم الفكرة ما لهذا يفضل كل النّصوص ويحلّه القوم قمة التّرتيب الشائع لها.

6. النّص الحجاجي(*Argumenté*): هذا الصّنف من النّصوص يختلف عمّا سواه من جهة هدفه الّذي يمكن اعتباره دون ريب برهانيًّا فإذا كان قصده معلنًا واستدلالا واضحا وأفكاره مترابطة لأنّه يحرص كلّ الحرص على الإقناع:

إقناع المتلقي بوجهة نظره أو طريقته في تناول الأشياء بل قد يحاول حمله على الإذعان دون اقتناع حقيقي فهو نصّ يلزم صاحبه على نحو صارم بما جاء فيه بل يورّطه بشكل واضح جلّي.

وعلى هذا النحو يمكن تعريف النّص الحجاجي بكونه نصًا مترابطًا متناغمًا (يقوم على وحدة معيّنة لا تكون بالضّرورة واضحة جلية بل قد تأتي على نحو خفي لا نكاد نلمحه) وضع لإقناع المتلقّي بفكرة ما أو بحقيقة معيّنة عن طريق تقنيات مخصوصة.[1]

---

[1] ماري جان بورال بلاز قريس ودنيس ميافيل بالتعاون مع ج. كوهلر شسني و . م . أبيل، محاولة في المنطق الطبيعي، الطبعة الثانية، بارن 1992، ص: 42 ـ 43.

سمات النّص الحجاجي:

وقد جمع **بنوا رونو** سمات النّص الحجاجي في النّقاط التّالية: [1]

1. القصد المعلن: إنّه البحث عن إحداث أثر ما في المتلقّي أي إقناعه بفكرة معيّنة وهو ما يعبّر عنه اللّسانيون **بالوظيفة الإيحائية**(***Conative***) للكلام وقد أدرك رجال الإشهار أهمية هذا الأمر فنجحوا في استغلال هذا الشكل النّاجح من أشكال التواصل.

2. التّناغم: فالنّص الحجاجي نص مستدل عليه لذلك يقوم على منطق ما في كل مراحله ويوظّف على نحو دقيق التسلسل الّذي يحكم ما يحدثه الكلام من تأثيرات سواء تعلّق الأمر **بالانفعال**(***L'émotion***) أو إحداث مجرّد **تقدّم**(***Progression***) وهو ينّم من هذا الوجه عن ذكاء صاحبه ويشي بمعرفته الدّقيقة بنفسية المتلقّي وقدراته وآفاق انتظاره، لذلك نراه يعلن أمرًا ويذكر أخر يختزل فكرة ويسهب في تحليل أخرى يسأل ويجيب بل قد يأتي بالفكرة الواحدة علة أنحاء مختلفة فيتجلّى في نصّه سحر البيان وتتأكّد فتنة الكلام.

3. الاستدلال: وهو سياقه العقلي أي تطوّره المنطقي ذلك أنّ النّص الحجاجي نص قائم على البرهنة فيكون بناؤه على نظام معيّن تترابط فيه العناصر وفق نسق تفاعلّي وتهدف جميعها إلى غاية مشتركة ومفتاح هذا النّظام لساني بالأساس فإذا أعدنا النّص

---

[1] بنوا رونو، النص الحجاجي، ص: 17.

الحجاجي إلى أشبه صورة وجدناه ترتيبًا يستجيب لنّية الإقناع.

4. البرهنة: إليها ترد الأمثلة والحجج وكل تقنيات الإقناع مرورًا بأبلغ إحصاء وأوضح استدلال وصولًا إلى ألطف فكرة وأنفذها.

وعلى هذا النّحو نتبّين بسير أنّ هذا التفريغ المتداول للنّصوص يمكّن فعلًا من حصر سمات النّص الحجاجي أو على الأقل يهدينا إلى أبرزها وأظهرها وهي سمات تقودنا إلى ضرورة القول بأنّ هذا الصّنف من النّصوص لا يمكن البتّة إرجاعه إلى قالب البرهنة المنطقّية حتّى وإن حاكى إجراءاتها أحيانًا كثيرة وهو ما يحملنا دو شكّ على تنسيب ما نفهمه عادة من عبارة الرّوابط المنطقّية وهو ما أكّده **أوليفي روبول** حين أراد الجواب عن سؤال خطير: **هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟** ممّا قاده إلى تحديد ملامح الحجاج فجعلها خمسة يقول للجواب عن ذلك نعود إلى تحديد مفهوم الحجاج لنتبّين ما يميّزه عن البرهان سأقول مستلهمًا بحرّية "**برلمان**" و "**تيتكا**" يتميّز الحجاج بخمسة ملامح رئيسيّة:

1. يتوجّه إلى المستمع.
2. يعبّر عنه بلغة طبيعيّة.
3. مسلّماته لا تعدو أن تكون احتمالّية.
4. لا يفتقر تقدّمه إلى ضرورة منطقّية بمعنى الكلمة.

5. ليست نتائجه ملزمة بناء عليه أتساءل: أليست هذه الملامح الّتي تميّز الحجاج عن البرهان هي نفسها ما يجعله بلاغيًّا بالضّرورة.[1]

وفي إطار الحديث عن سمات الحجاج أو خصائص الّنص الحجاجي أثار العديد من الباحثين سمة أو خاصّية أخرى عبّروا عنها بالحواريّة أو التحاوريّة فالّنص الحجاجي في جوهره حوار مع المتلقّي.حوار يقوم على علاقة ما بين مؤسس الّنص ومتلقّيه وهي علاقة تتّخذ دون شكّ أشكالا عديدة يكشفها الخطاب ذاته باعتباره يراهن أحيانًا كثيرة على إقناع ما يسّمى"بـ المتلقّي الكوني" وعمومًا تبقى الخاصّية التحاوريّة هامّة وأساسّية في تأكيد حجاجيّة الّنص إذ تجعله بشكل ضمنّي أو صريح موضع رؤى متباينة متناقضة فيتأسّس حول أطروحتين متباينتين حتّى وإن اقتضت إستراتيجية الإقناع تغيب إحداهما أو أقصاهما بحيث لا يجليها ظاهر الّنص ولا تلمحها القراءة الّتي تقف عند حدوده لا تتجاوزها.

ومن هنا جاز الحديث عن تعدّد الأصوات في الّنص أو الخطاب الحجاجي.[2] غير أنّ تعدد الأصوات في الخطاب الحجاجي والمجسّم لخاصّيته الحوارّية والّدال عليها

---

[1] أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، ترجمة محمّد العمري، مجلة علامات في النقد، الجزء الثاني والعشرون، المجلد السادس، ديسمبر، 1996، ص: 76 ـ 77.

[2] هشام الريفي، في الغرض أو أعمال القول الشعري عند العرب القدامى، ورد ضمن: مشكل الجنس الأدبي في الأدب العربي القديم، أعمال الندوة التي نظمها قسم العربية بكلية الآداب بمنوبة من 22 إلى 24 أفريل 1993، منشورات كلية الآداب، منوبة 1994، مجلد *X*، ص: 48 ـ 49.

يقتضي من مؤسس تدقيق اختياراته على مستوى العالم الّذي يبنيه بالخطاب لذلك ستحدّث عن خاصّية أخرى من خصائص هذا الخطاب هي **التخطيط** فاحتجاجنا لموضوع ما أو لأطروحة معّينة يعني أّننا نرسم عن طريق الخطاب كونًا مصغّرًا يمثّل النموذج الأمثل لوضعّية ما لكن دون أن يعكس مقتضيات البناء العلميّ مع الاعتماد أساسًا على بعد حواريّ.

الفصل الثاني

الفــصل الثاني:

أسلوب وبنية الحجاج في قصيدته خير بني حواء للكميت بن زيد

أولا: أساليب الحجاج في قصيدة " خير بني حواء " « للكميت بن زيد».

1. وسائل الإثارة والتأثير

1.1 مستوى اللّغة

2.1 مستوى البلاغة

2. اعتماد الأساليب الإنشائية

1.2 السؤال

2.2 الوظيفة الحجاجية لأسلوبي الأمر النهي

3. توظيف التكرار في الحجاج

4. الحجاج بالسخرية

5. الضمير المجهول و دوره في الحجاج

ثانيا: بنية الحجاج في قصيدة خير بني حواء لـ «الكميت بن زيد»

1. الحجج شبه المنطقية

2. الحجج المؤسسة على بنية الواقع

3. الحجج المؤسسة لبنية الواقع

4. الحجج التي تستدعي القيم

1. وسائل الإثارة والتأثير:

نعني بهذا الفصل التطبيقي من موضوع الحجاج وبعد النظر في أساليبه ورصد الوسائل الّتي يعمد إليها الشاعر في إثارة المتلقّي والتأثير فيه نلخص إلى تعديد مستويات نفصل بينهما على نحو تطبيقي بعد الإقرار بتكاملهما وتفاعلهما.

1.1 مستوى اللّغة:

نهتم في هذا المستوى بالاختيارات اللّفظية والتركيبة الّتي يعمد إليها الشاعر لغاية حجاجية فيحل اللفظ المحدد مكانا معيّنا ليقود المتلقّي إلى غاية ما ويعتمد تركيبًا دون الأخر ليقنعه بأمر ذي علاقة وطيدة بالخطاب في كليته.

إنّ الانتقاء قانون حجاجي عام يعني الاختيار الّدقيق والواعي لدقائق الخطاب قبل قضاياه الكبرى[1]، فإذا ما تصفحنا ما ذهب إليه الكميت بن زيد نجده قد حرص في بنائيته على انتقاء جيّد لألفاظ ليبلغ مقصده المتمثّل في الّرد على خصومه وإبراز ولائه وحبه لآل البيت فتصب نفسه مدافعًا عن حقوقها وعن أهليتها لقيادة الأّمة، ويظهر من خلال أبيات القصيدة أنّ لغة الشاعر كانت مباشرة استهلّها بالغزل والتّعبير عن الشّوق والحنين وهذا الوله والغزل الّذي عبّر به الشاعر ليس بسبب فتنه بالّنساء البيض

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 102.

الحسان وليس مصدره انخلاب لب بالأصابع الناعمة المخضبة بالألوان الزّاهية المغرية ولا سبب اندهاشه لطول الديار الّتي سكنها الأحبّة، يكشف الشاعر ولهه وهيامه والطرب الجارف الّذي اعتراه بطريقة مباشرة في الأبيات التّالية.

وَلكِنْ إِلَى أَهْلِ الفَضْلِ النُّهَى وَخَيْرِ بَنِي حَوَاءَ وَالخَيْرِ يُطْلَبُ

إِلَى الغُرِّ البِيضِ الَّذِينَ بِحبهم إِلَى اللهِ فِيمَا نَالَنِي أَتَقَرَّبُ

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ فَإِنَّنِي بِهِم وَلَهُم أَرْضَى وَمِرَارًا أَغْضَبُ [1]

إنّهم بني هاشم رهطه وعشيرته وبمذهبهم ونهجهم بدين الشاعر ويعقد ويتقدم إليهم برضاه وغضبه ويبذل لهم جناح مودّته.

2.1 مستوى البلاغة:

نعنى في هذا المستوى بكل أساليب الّتي تمكن من تأدّية المعنى واضحًا فصيحًا مع مراعاة الإيجاز وإذ البلاغة عند العرب قليل بينهم وكثير لا يسأم[2] وهي أيضًا إجاعة اللّفظ وإشباع المعنى[3] أي إصابة المعنى وحسن الإيجاز[4]، وعمومًا فالبلاغة عند العرب الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير جَطل[5].

---

[1] شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، أبى رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، تح: داوود سلوم ونوري، حمودي القيسي، طبعة2، بيروت، 1406هـ ـ 1986م، ص 45.

[2] ، [3]، [4]، [5] ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمّد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، لبنان، ط5، 1981م. ص 242.

ولن نهتّم في هذا البحث باستعراض الأساليب البلاغية فذاك منشغل بلاغي صرف لا يهمنا بالأساس وإّنما يشغلنا تحديدًا إشكال أدق وأخص، إّنه علاقة مختلفة الأساليب البلاغية بحجاجية الخطاب؟ هل بإمكان المجاز والجناس والطباق والتورية وما إلى ذلك من وجوه البلاغة أن تدعم طاقة القول الحجاجية وأن تثبت قدرته الإقناعية، فتعد عندها من وسائل التأثير والاستمالة.

لا شك أّن علاقة البلاغة بالحجاج إشكال مثير ومعقّد اهتم به القدامى قبل المحدثين، ونعني بالقدامى فلاسفة اليونان لاسيما أرسطو وأعاد المحدثون طرح الإشكال مستندين إلى ما وصلهم من أفكار وآراء متّفقين تقريبًا حول فكرة أّن القدامى لم يخطئوا عين جمعوا في مجموع واحد بين البلاغة والعناصر العقلّية للحجاج بمكّوناته الوجدانية والجمالية لا مقّر للبلاغة لأّي حجاج دون أن يؤدي ذلك حتمًا إلى التّحريض[1] فأهمّية الوسائل البلاغية تكمن فيما توفّره للقول من جمالّية قادرة على تحريك وجدان المتلقّي والفعل فيه وإذا انضافت تلك الجمالّية إلى حجج متنّوعة وعلاقات حجاجية تربط بدقّة أجزاء الكلام وتصل بين أقسامه أمكن للمتكلّم تحقيق غايته من الخطاب أي قيادة المتلقّي إلى فكرة ما أو رأي معّين ومن ثّمة توجيه سلوكه الوجهة الّتي يريدها له أي أّن الحجاج لا غنى له عن الجمال، فالجمال يرفد العملّية الاقناعية ويسّر على المتكلّم ما يرومه من نفاذ إلى عوالم المتلقّي الفكرّية والشعورّية

[1] أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، ترجمة محّمد العمري، ص 89.

والفعل فيها، إذ ليست البلاغة كما يقول العسكري إلّا ما به يعطف القلوب المستوحشة وتلين به العريكة الأبّية المستعصّية، ويبلغ به الحاجة وتقام به الحجّة فتلخص نفسك من الغيب ويلزم صاحبك الذّنب من غير أن تهيجه وتقلقه وتستدعي غضبه وتستثير حفيظته[1] ، بل قرن القدامى الإقناع بالجمال، وأكّدوا أنّ الشّعر لا يحّب إلى الّنفوس بالّنظر والمحاّجة ولا يحلّى في الصّدور بالجدال والمقايسة، إّنما يعطفها عليه القبول والطّلاوة ويقّربه منها الّرونق والحلاوة، وقد يكون الشيء متقًنا محكًما ولا يكون حلًوا مقبولًا ويكون جّيًدا وثيقًا وإن لم يكن لطيفًا رشيقًا[2]، والواقع أنّ الحاجة للحجاج في الشّعر القديم والحديث إلى البلاغة متأكدًا، إذ تعود أساسًا إلى طبيعته المتميّزة فهو خطاب شفوي ينبغي أن يفعل في المتلقّي كما ذكرنا سابقًا. وهو ينتهي ويتلاشى أي أّنه يستهلك آنيًّا ويفعل في المتلقّي فعلًا مباشرًا لذا وجب على الشّاعر تمامًا كالخطيب أن يقاوم عدّوين خطيرين يهدّدان كلّ خطاب شفوي، هما الغفلة والّنسيان وهو أمر أكّده أوليفي روبول في قوله: إنّ الّنص المكتوب شيء حاضر أمامنا يمكننا أن نعيد قراءته وتحليله حسب ما نريد، الأمر الّذي يتيح نقده لكن هذه الإمكانّيات تنعدم مع الكلام الشفوي، فالرسالة حدث يواكب اختفاؤه عملّية إنتاجه، فما لا نسمعه أو نحتفظ به يضيع إلى الأبد، فعلى الخطيب إذن أن يقاوم عدّوين قاتلين هما عدم ا لانتباه والّنسيان وليس

---

[1] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 51.

[2] القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح محّمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محّمد البجاوي، ط4، 1966م، ص 100.

في وسعه تحقيق ذلك إلّا عن طريق إجراءات بلاغيّة أمّا المستمع فهو لا يملك إمكانات النّقد إذ عليه أن يتابع الخطاب ولكنّه لا يستطيع من جهة أخرى أن يتحرّر باللّجوء إلى عدم الانتباه وعليه يصعب تصوّر كيف يستطيع حجاج شفوي أن الاستغناء عن البلاغة[1]، ويضيف قائلًا وهذا ما تؤكّده الثّقافات المدعّوة بثقافات شفوية، صحيح أنّها تحتج وتعلّم ولكن بواسطة التكرار والتجنيس والاستعارة والتمثيل والألغاز....الخ.[2]

فالوسائل البلاغية الّتي تحفل بها أشعار القدامى والحدثين تمثل كلّها عاملًا مهمًّا يرفد عمليّة الحجاج ونّمي قدرة الشّاعر على الإقناع وأن كّنا سنتبين أنّ التّشبيه والاستعارة باعتبارهما وجهين بلاغيين يشكّلان نوعًا ما من الحجج المؤسسة لبنية الواقع، لكّنا نضيف في هذا الإطار أنّ الاستعارة وإن لم تكن حجاجاً حجة يأتي بها الشّعراء احتجاجًا لفكرة أو موقف، فإنّها تظلّ مع كونها زينة للكلام وتوشية للقول فاعلة في المتلقّي فيما ذهب إليه **لوقرن** في مقابلة بين الاستعارة الحجاجية والاستعارة غير حجاجية أو الشعرية الخالصة، عبّر عنها بقوله: هكذا نجد في مقابل الغاية الجمالية للاستعارة الشعرية مطمحًا اقناعيًا للاستعارة الحجاجية[3] تبدو جائزة ما لم نعدلها بإقرار

---

[1] أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، ترجمة محمّد العمري، "علامات"، ص 79 ـ 80.

[2] المرجع نفسه، ص 79 ـ 80.

[3] ميشال لوقرن، الاستعارة والحجاج، ترجمة د. طاهر عزيز، مجلة المناظرة، العدد4، ماي 1991م، ص 89.

أمرين أحدهما قدرة الاستعارة الشّعرية علـى الفعل بجمـالها والتأثير في المتلقّي بسحرها وثانيها أنّ هذا التفريق لا يعني أنّ كلّ استعارة حجاجية عارية بطبيعتها من كلّ قيمة جمالية، وهما أمران يمكن التثبت منهما بسير بمعاودة النّظر في كلّ النّماذج الشعرية الّتي سنحلّلها في غضون هذا البحث، ولنا في النّصوص النّقديّة العربية ما يؤكّد أيضًا اقتران الجمال بالإقناع واستحالة الفصل بين بينهما، فالمعنى يكون مقنعًا ولكنه يحتاج إلى جمال يوشيه ويحفظ له رونقه، ويدعم فعله، والمعنى يكون جميلًا فتزداد قدرته على الفعل في المتلقّي متى كان مقنعًا.

ومن جملة الاستعارات الّتي استعملها **الكميت بن زيد** في بائيته والّتي تدّل على مقدرة شعرية في اقتناص الصّورة الموشاة بالجمال القي وهي مقدرة على منح صورة قدر الالتحام بالواقع من خلال اكتشافه، واستعارات **الكميت** دليل على قوّة شاعريته، لأنّها استعارات تحرّك المشاعر وتوقظ أحاسيس المتلقّي، ومن جملة تلك الاستعارات نذكر في قوله:

فقل للندى في ظلّ عمياء جونة يرى الجور عدلًا أين لا أين تذهب[1]

الكميت هنا أخفى المشّبه على سبيل الاستعارة واستعمل المشّبه به(عمياء جونة) فقد حكم على خصوم آل البيت بالجهـل الّذي أخفاه، ولكّنه جاء بقرينة تدّل عليه فـي قوله

[1] شرح هاشميات الكميت، أبى رياش أحمد إبراهيم القيسي، ص 49.

(جونة) والّتي تعني سوداء مظلمة لا يهتدي بها إلى الرشد.

وفي قوله:

أناس بهم عزت قريش فأصبحوا وفيهم خباء المكرمات المطنب[1]

وفي هذا البيت أورد **الكميت** استعارة مكنية في قوله فيهم خباء المكرمات المطنب، إذ شّبه المكرمات بالنساء فحذف المشّبه بـه الّنساء وترك لازمًا من اللّوازم وهي الخباء الّذي تخبأ في الّنساء.

وأثرها متجلٍ في تشخيص المجرد من باب إبراز أهمّيّة احترام المكارم عن بني هاشم كاحترامهم المرأة.

لقد احتلّت الكناية أهمّيّة كبيرة في الّدرس البلاغي، وهي منال لا يستطيع إلّا الشعراء الّذين قد تمكّنوا من أدواتهم، و**الكميت** من خلال أصالته الفنّيّة ومقدرته الشعرية استطاع أن يستعمل الكناية للتّعبير عن كلّ ما يدلّ على الإيحاء الّذي يقوم مقام التصريح لمن يحسن فهمه واستنباطه، وقول **الكميت** بن زيد:

طربت وما شوقًا إلى البيض أطرب ولا لعبًا منّي أذو الشيب يلعب[2]

---

[1] شرح هاشميات الكميت، أبى رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، ص 76.

[2] المرجع نفسه، ص 43.

ف(ذو الشيب) كناية عن الخبرة والتجربة في الحياة لذلك استطاع اللّفظ أن يؤدي معناه فهو لم يطرب شوقًا على الحسان ولكّنه طرب إلى أهل الفضائل والتقى الّذين يحبهم.

وقوله أيضًا:

خفضت لهم منّي جناحي مودّة إلى كتف عطفاه أهلٍ ومرحب[1]

ففي البيت كناية عن صفة التّواضع والجناحان هما الذّراعان وأثره متجلّي في إبراز حبّ الشّاعر لآل البيت وتواضعه لهم.

الإذعان: والواقع أنّ دراسة هذه الأساليب قد لقيت اهتمامًا خاصًّا من قبل الباحثين المحدثين، لاسيما وقد أثارها **أرسطو** حين ميّز في المباكتات السّفسطائية التّبكيتات الحقيقة عن تلك الّتي ليس لها منها إلّا المظهر أي تلك الّتي توهم بأّنها حقيقّية والحال أّنها ليست كذلك[2] ، وطبيعّي أن يخوض القدامى في هذا الموضوع لاسّيما الفلاسفة منهم حين شرحوا كتب **أرسطو**ولخصوها فوقفوا عند التّبكيتات السّفسطائية، تلك الّتي ترى أّنها مباكتات وإّنما هي مضلّلات وليس بمباكتات[3]، وطبيعّي ألّا نقف في الشّعر

---

[1] شرح هاشميات الكميت بن زيد، أبى رياش أحمد ابن إبراهيم القيسي، ص 47.

[2] من هذه الكتب نذكر المغالطات لصاحبه هامبلين، نشر في لندن سنة 1970م، وكتاب نقد للحجاج لصاحبه جون وودس ودقلاس ولتار، نشر بباريس 1992 ، وقد قدم هذا الكتاب تقديما دقيقا ومفيدا من قبل محّمد النويري في كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، ص 403 ـ 447.

[3] منطق أرسطو، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمان بدوي، ط1، 1980م، ج3، ص 778.

الّتي تقتضي قرب المأخذ وتجنب الإيغال في التّعقيد إلى درجة توقع بالخطاب في التّعمية والإبهام، فالشّاعر يغالى متلقّيه ولكن بلطف ويوهمه أمور عديدة، ولكّنه يحرص كلّ الحرص على جمالّية القول وحسن مأخذه، فإذا تأّملنا ما وصلنا من أشعار القدامى في حدود الفترة المدروسة ، ألفينا ضروبًا من المغالطات كثيرة نحتذي في تقسيمها حذو **حازم القرطاجّني** حين جعلها قسمين:

مغالطات ترجع إلى القول ذاته، ومغالطات ترجع إلى المقول له أي المتلقّي، إذ يقول وإّنما يصير القول الكاذب مقنعًا وموهمًا أّنه حق بتمويهات واستدراجات ترجع إلى القول أو المقول له، وتلك التّمويهات والإستدراجات قد توجد في كثير من النّاس بالطّبع والحنكة الحاصلة باعتياد المخاطبات الّتي يحتاج فيها إلى تقوية الظّنون في شيء ما أّنه على غير ما هو عليه بكثرة سماع المخاطبات في ذلك والتّدرّب في احتذائها.[1]

فالقسم الأّول من المغالطات يتمثّل في جملة من الحجج الّتي ترمي إلى الإيقاع بالمتلقّي وحمله ع لى الإذعان، والحال أّنها لم تستقم حججًا صحيحة لذا سّماها **حازم** تمويهات، وأّما الثاني فيشملها به يثير المتكلّم متلقّيه بوصفه ومدحه والتّقّرب إليه، لذا سّمها استدراجات، وأضاف شارحًا مدقّقًا، والإستدراجات تكون بتهّؤ المتكلّم بهيئة من يقبل قوله، أو باستمالته المخاطب واستلطافه له بتزكيته أو تقريظه أو باطبائه إّياه لنفسه ولإحراجه على خصمه حتّى يصير بذلك كلامه مقبولًا من الحكم وكلام خصمه

[1] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 63.

غير مقبول[1] ، فتشبيه الشّاعر العاشق بمن يحبّ وإسرافه في بيان محاسن الحبيبة وإيغاله في التّدليل على تفوّقها في الحسن على سائر النّساء إنّما تعدّ محاولة جاهدة في استدراجها وحملها على الوصال وترك ما قرّرته من هجر، وما أزمعت عليه من قطع وصدّ ورحيل.

3.2 اعتماد الأساليب الإنشائية: لاحظنا ونحن ندرس الحجاج اضطلاع الأساليب الإنشائية بدور هامّ في العمليّة الحجاجية، إذ كثير ما تتبني الحجة بأسلوب إنشائيّ وكثيرا ما تعضد الأساليب الإنشائيّة حججًا قائمًا الذات بما توفّره من إثارة وما تستدعيه من عواطف وأحاسيس، ذلك أنّ الأساليب الإنشائيّة خلافًا للخبريّة لا تنقل واقعًا ولا تحكي حدثًا فلا تحتمل تبعًا لذلك صدقًا أو كذبًا، وإنّما تثير المشاعر وتشحن من ثّمة بطاقة حجاجيّة هامة، لأنّ إثارة المشاعر ركيزة كثيرًا ما يقوم عليها الخطاب الحجاجيّ وهو ما أكّده **أوليران** في قوله الأمر والتّهديد وإثارة مشاعر الخوف كلّها حجج لأنّها دون أن تحدد ألّيا الموقف توفر الأسباب الدّاعية لاختيار هذا الموقف[2]، ونحن إذ نفرد للحجاج اعتماد على الأساليب الإنشائيّة هذا الحيّز الخاص من البحث فلنعرض إلى قضيتين هامّتين تتّصل إحداهما بالسّؤال والثّانيّة بالأمر والنفي وما يحيلان عليه من توظيف دقيق للأفعال.

---

[1] حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص .

[2] بيار أوليران، الحجاج، ص 21.

السؤال: حظّي السؤال منذ الفلسفة اليونانية باهتمام كبير، بل إّنا لا نخطئ إذ نؤكّد اقتران نشأة السؤال بميلاد الفلسفة، لأنّ وظيفة الفلسفة الأولى ليست سوى المساءلة التأسيسّية وقديًما أكّد "سقراط" أنّ عملية التفلسف لا تغدو أن تكون طرحًا للأسئلة لا تبحث عن أجوبة بل تحاول الكشف عن الجواب المتوّهم لدى المخاطب، في حين نشأ الفكر الأفلاطوني من حاجة ملّحة لتقديم الأجوبة إذ تظلّ الغاية عند أفلاطون البحث عن أنواعه يقصى ولا يبقى للسؤال إلّا دور بلاغي صرف، وهو ما يختلف عن وضعّية السؤال عند "أرسطوالّذي جعله تابًعا للجدل و وجه ًا من وجوهه المتعّددة، وقد أعاد المحدثون النّظر في قضية المساءلة لأسباب عديدة، وحاولوا تقديم إضافات تنطلق من قراءة جديدة لتاريخ الفلسفة، من أبرز هؤلاء **ميشال مايير** الّذي قدم في كتابه الموسوم (*De la Problématologie*) نظرّية المساءلة سدّ الفراغ شعر به وهو يعيد في فلسفة اليونان تلك الفلسفة الّتي لم تكن في نظره بروبلماتولوجية (*Problématologique*) لأّنها لم تعن في أي مرحلة من مراحلها بدراسة المساءلة، ونحن نستند في دراستنا للسّؤال وفي أحيان كثيرة إلى ما جاء به **مايير** ، فإّنا في الواقع لا نهتّم إلّا بما له صلة واضحة بالحجاج محاولين توظيفه في دراسة طاقة السّؤال الإقناعية في شعر القدامى، كذلك شأننا مع مراجع كثيرة اهتّمت بالسؤال ودوره في العملية الحجاجية، وأّول ما نشير إليه أنّ السّؤال – أي السّؤال – هو الإشكال(*Problème*) ، أو بعبارة أخرى أنّ السّؤال والإشكال يتمايهان فإذا بالسؤال يحيل على صعوبة معرفّية أو على ضرورة اختيار وإذا

بالسّائل متى طرح سؤالًا دعا المتلقّي إلى اتّخاذ قرار، بل إنّ الجولب حتّى وإن علم السؤال الّذي هو مصدره يثير السؤال[1] ، ومن هنا ندرك أهمّيّة المساءلة من النّاحية الحجاجية، إذ لّما كان الكلام إثارة السؤال أو استدعاء له فإنّه يولّد بالضّرورة نقاشًا ومن ثّمة حجاجًا، فإذا بالكلام والحجاج متّصلان على نحو عميق وإذ بالحجاج ماثلا في كلّ نوع من أنواع الخطاب. على هذا النحو ندرك خطورة طرح الأسئلة في الخطاب إّنها وسيلة هامّة من وسائل الإثارة ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح. هذا الموقف يحدّده المتكلّم بقرائن ومواد اختباريّة تحضر في السّياق وتقود عملية الاستنتاج المتّصلة بالسؤال المطروح.

فنجد الكميت استفتح قصيدته البائية باستفهام يظهر في البيت الأّول في عجزه وهو ما يفهم من سياق كلامه إذ يقول:

طَرِبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى البِيضِ أَطْرَبُ وَلاَ لَعِبًا مِّني ذُو الشّيْبِ يُلْعَبُ[2]

الشاعر هنا استأنف الجملة الاسمية "ذو الشيب" لأّنها إنشائية بتقديم استفهام إنكاري محذوف، فحذف أداة الاستفهام وهي الهمزة لأغراض شعرية. فعندما حضر السؤال هنا

---

[1] يقول: أن جواب يثير السؤال، هذه الترجمة لمحّمد علي الفارصي في مقال "البلاغة والحجاج"" من خلال نظرية المساءلة لميشال مايير، ورد ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 394. وذلك للجملة الواردة في كتاب مايير"في البرلماتولوجية فلسفة وعلما ولغة"، بروكسل، 1986م، ص 219.

[2] شرح هاشميات الكميت بن زيد، أبى رياش أحمد ابن إبراهيم القيسي، ص 43.

صار أداة تقنع الخصم وتثيره بـُغية أن يبقى المتلقّي مشدودًا، وخاصة عندما يكتسي السؤال صيغة استنكارية.

والتقدير: أذو الشيب يلعبُ؟ أو هل ذو الشيب يلعبُ؟.

وإذا انتقلنا إلى بيت آخر في هذا السّياق نجده يقول:

وَمَنْ غَيْرُهُمْ أَرْضَى لِـنَفْسِي شَيَعَةً وَمَنْ بَعْدُهُم لا من أَجَلِ ومرجب.[1]

عبّر **الكميت** عن سؤاله بأداة النفي "من" لكنه قاطع يصل إلى مرحلة الإنكار، وكأّنه يستنكر أن يكون غيرهم أو بعدهم من يستحق هذه المكانة الرفيعة. فاعتمد الاستفهام كوسيلة إقناعية وحجة متيقن منها على أّنهم أجدر من غيرهم. فالسؤال هنا ليس مقصودا لذاته، لأّن المستفهم لا يحتاج إلى إجابة من المخاطب، ولا هو منتظر له وإنما وظف الكميت السؤال حتّى يكون مثبتـًا أن تلك المكانة هم أولى بها.

ب) الوظيفة الحجاجية لأسلوبي الأمر والنهي: اهتم الدارسون بالفعل وعلاقته بالقول في إطار الحجاج اللّغوي إيمانًا منهم بانّ اللّغة كما يقول برلمان ليست وسيلة تواصل فحسب بل إّنها أيضًا أداة تأثير في النّفوس و وسيلة إقناع[2]، وكان أبرز من بحث في الأفعال وعلاقتها بالأقوال **أوستين** *Austin* إذ أكّد أّنه لا يمكن الحديث عن قول

---

[1] شرح هاشميات الكميت بن زيد، أبى رياش أحمد ابن إبراهيم القيسي، ص 51.

[2] برلمان وتيتيكاه، مصنف في الحجاج، ج1، ص 177.

في صورته المجرّدة، بل إنّ كلّ قول له غاية عمليّة ما، وهو في ذاته عمل نقوم به لذلك يسمّيه أوستين بالعمل القولي، غير أنّا نجد أقوالًا كثيرة تهدف بالأساس إلى صياغة واقع جديد، وتكون هذه الأقوال عادة بين حضور طرفي الخطاب في المكان والزّمان فبمجرّد صياغة القول يحدث فعل ما يسمّيه أوستين بالعمل اللاقولي، ومن ثّمة ننتهي إلى أنّه لا يوجد قول نقوله إلّا وهو يحمل عملين عملًا قوليًا، ثّم إنّا نجد صنفًا ثالثًا من الأقوال أقوال تنبئ بفعل ما، أي أنّها مجرّد وعود يصرّح بها المتكلّم، فالوعد حاصل بالقول وهو مرتبط بردّ فعل المخاطب، ولذلك فإنّ العمل الثالث لا يوجد في اللّغة خلافًا للعملين القولي واللاقولّي اللّذين هما عملان كائنان اصطلاحّيان، وقد سّماه أوستين *Acte Perlocutionnaire* .[1]

على هذا النحو نتبين بسير أنّ دراسة أوستين هامّة من حيث تصوّراتها ونتائجها، إذ لأنّها أفضت بنا إلى مراجعة جملة من الأحكام والتّصوّرات القائمة حول الفعل اللّغوي فلا حديث عن قول منفصل عن الفعل، بل القول نفسه قد يكون فعلًا خاصة إذا كّنا بإزاء خطاب حجاجي تكتسب فيه الأقوال طبيعة خاصة، وتوجه كلّها نحو غاية واحدة هي الإقناع أو الحمل على الإذعان.

ينبغي في هذا الفصل التطبيقي النظر إلى الوظيفة الحجاجية لأسلوبي الأمر والنهي وهذا ما يبّينه قول الكميت بن زيد في هذه الأبيات من قصيدته:

---

[1] أوستين، عندما نعني بالقول الفعل، منشورات ساي، باريس، 1970م، أنظر المحاضرتين الثامنة والتاسعة.

ولا أنا ممن يزجر الطير همّه أصاح غراب أو تعرّض ثعلب[1]

والزجر هنا المنع والنهي، والزجر أن تزجر طيرا أظبيًا سانحًا أو بارحا فتطير منه وقد نهى عن الطيرة، والصياح صوت كلّ شيء إذا اشتدّ، والثعلب من السباع معروف الأنثى ثعلبة والذكر ثعلب.

وتعرّض الثعلب في طريقه أي تعوج و زاغ ولم يستقم في السير، كما يتعرض الرجل في عروض الجبل، وفي أسلوبي الأمر والنهي طاقة حجاجية هامّة، فهما أسلوبان إنشائيان ينتميان إلى صنف الأفعال الّتي وسمها أوستين بـ "الأقوال" الّتي فيها إنجاز لأفعال معيّنة، ولكنّه إنجاز ضمني لأنّ صيغتي الأمر والنهي تحملان معنى الدعوة ومن ثّمة تبدو وصلتهما بالحجاج وثيقة، لأنّهما يهدفان إلى توجيه المتلقّي إلى سلوك معيّن تحدّده أطروحات الشّاعر ومبادئه.

بالإضافة إلى هذا البيت:

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم أم مرّ أغضب[2]

ومن خلال هذا البيت والبيت الأوّل نلاحظ أن الكميت لا يتشاءم بزجر الطير وعيافنها لا يتطير ولا يتفاءل بسانح ولا ببارح، وهذه ظاهرة كانت شائعة في العرب إلى زمن

---

[1] شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، ص 44.

[2] المرجع نفسه، ص 44.

طويل جدًا بعد عصر (الكميت) فكان كثير من كبار المفكرين يؤمنون بالزجر والعيافة طيرة وتفاؤل، ولكن اعترض عليها الكميت وأضرب عن الزجر والعيافة.

فإذا هي لم تصلح لحي سواهم فإن ذوي القربى أحق وأقرب

وإلا قولوا غيرها تتعرفوا نواحيها تردي بنا وهي شرب[1]

القربى بنو هاشم يقول الكميت فإن كانت الخلافة لم تصلح في أحد من العرب إلا في قريش لأنّ النّبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قريش.

وفي البيت يأمرهم بقول غير أئمة قريش الّتي قد تصلح للخلافة إن زعموا ذلك.

3. توظيف التكرار في الحجاج:

إنّ الدراسات الدائرة حول الحجاج وأفانينه تجمع أو تكاد على أهمّية الدّور الحجاجي الّذي يضطلع به أسلوب التكرار أو المعاودة، وهو أسلوب شائع في الخطابات على تنّوع مواضيعها واختلاف أجناسها، ولكنه لا يدرس ضمن الحجج أو البراهين، وإّنما يعدّ رافدًا أساسيًا يرفد هذه الحجج أو البراهين الّتي يقّدمها المتكلّم لفائدة أطروحة ما بمعنى أن التكرار يوفّر لها طاقة مضافة تحدث أثرًا جليلًافي المتلقّي وتساعد على نحو فّعال في إقناعه وحمله على الإذعان، ذلك أنّ التكرار يساعد أّولًا على التّبليغ

[1] شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، ص 66.

والإفهام ويعين المتكلّم ثانيًا على ترسيخ الرأي أو الفكرة في الأذهان، فإذا ردّد المحتجّ لفكرة حجّة ما أدركت مراميها وباتت مقاصدها ورسخت في ذهن المتلقّي، وإن ردّد رابطًا حجاجيًّا أقام تناغمًا بيّنًا بين أجزاء الخطاب، وأكّد الوحدة بين الأقسام أو أوهم المتلقّي بها.[1]

لكّنا حين ننظر في توظيف أسلوب التّكرار في الحجاج نقف على أنواع مختلفة منه تتفاوت قيمتها و يتباين فعلها في الخطاب، أول هذه الأنواع التكرار وهو على عكس ما قد يذهب إليه البعض قادر على الاضطلاع بدور حجاجّي هام متى اعتمد في سياقات محدّدة وتوفّرت فيه شروط معيّنة، فتكرار اللّفظة ذاتها في أكثر من موضع يعدّ من أفانين القول الرّافد للحجاج المدّعمة للطاقة الحجاجية في الدّليل أو البرهان لما له من وقع في القلوب لاسّيما في سياقات خاصة كالمدح والرّثاء، ففي تكرار اسم الممدوح أو المرثّي إشادة بذكره وتفخيم له في القلوب والأسماع.

وحين ننظر إلى خير بن حواء للكميت بن زيد نجده قد وظف التكرار بأنواعه المختلفة، إذ يظهر التكرار اللّفظي في صورة جلّية واضحة في قول الشاعر من البيتين *44 ـ 45* في قوله:

فبوركت مولودًا وبوركت ناشئًا وبوركت عند الشيب إذ أنت أشيب

[1] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص 168.

وبورك قبر أنت فيه وبوركت بـــه له أهـــــــل لــذلك يثـرب[1]

فلفظة "بوركت" تكررت في مقطع مدحي يضاف إلى الحجج المعتمدة في تأكيد الاستدلال على صدق العاطفة وجدارة الشاعر.

فالتكرار اللّفظي بهذا الشكل وقع في القلوب وأثر بليغ في الأسماع والأذهان، ممّا يجعله رفدًا مهّما للحجاج في الأبيات.

وفي بيت آخر:

وأرمي وأرمي بالعداوة أهلها وإني لأوذي فيهم وأؤنب[2]

إن الصورة الانفعالية عند الكميت هي نتاج التجربة الحياتية إحساسًا وشعورًا وفكرًا آثاره كثيرًا ما آلت إليه حياته بعد رمية بالعداوة من طرف المعاندين لأهل البيت بسبب ميله إلى بني هاشم، فقد جاء التدفق الانفعالي في البيت الأول في تكرار الكلمة "أرمي" حيث كان الكميت أيضًا يرد بالمقابل بطريقة ما على تلك العداوة الّتي رموه بها.

كما يعتبر التكرار وسيلة من وسائل الخطابة المعروفة التي استعملها الكميت في هاشيماته وهذا التكرار يثير وجدان وعاطفة السامع قبل إقناع عقله.

فما سرني تكفير هاتيك منهم ولا عيب هاتيك التي هي أعيب[3]

---

(1)، (2)، (3) شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، ص 71 ، 48، 53.

وقول الكميت تكفير هاتيك يقول سرني تكفيرهم إياي لأني على يقين الصواب في حبي لهم.

وهاتيك الثانية تعني التي هي أعظم عيبًا.

هنا الكميت كرّر "هاتيك" بغرض الإفهام السامع.

4. الحجاج بالسخرية:

إنّ تعريفات السخرية كثيرة إذ يعتبرها البعض صورة من الصّور المجازّية تسمح بقول ما هو مختلف عمّا نراه، في حين يعدّها آخرون شكلًا من أشكال استرجاع صدى أفكار أو ملفوظات يريد المتكلّم أن يشير إلى تهافتها من أمرها تحديدًا هو صلتها بالحجاج أو بعبارة أوضح كيف توظّف السّخرية توظيفًا حجاجّيا؟ أين يكمن الحجاج في السّخرية؟.

يقدّم برند وينر *Berrendanner* تعريفًا للسّخرية يجعل صلتها بالحجاج وثيقة إذ يعتبرها تناقض قيم حجاجية فيما يسمح بقيام حملة ما ساخرة عنده كونها حجة على فرضية ما، وإذا علمنا أن تناسق الخطاب أو تناغمه يفترض ألّا يلتقي فضاء حجج الفرضية الواحدة بفضاء حجج فرضّية هي مختلفة عنها، أدركنا بيسير أنّ الفضاءين يلتقيان متى كان المقام ساخرًا. فقولنا لفلان إنّك ذكي يعدّ في مقام عاديّ حجّة يحمل إلى نتيجة منتظرة هي أنّ ما يقترحه أو يراه فلان جدير بالّصديق والاهتمام، فإذا كان

المقام مقام سخريّة أصبحت الجملة ذاتها تحتمل قراءتين القراءة الأولى تجعلها حجّة للنتيجة المذكورة وقراءة ثانية تجعلها حجة تحمل إلى نتيجة هي مناقضة تمامًا للأولى وهي أنّ ما يقوله وما يقترحه فلان غير جديرين بالاهتمام أو الأخذ بعين الاعتبار.[1]

والحجاج بالسخرية متوفر عند الكميت في قوله:

يقـولون لم يورث ولولا تراثـــه لقد شركت فيه بكـــيل وأرحـب

و عك ولخم والسَكُـــونُ وحِمْـيُر وكنده والحيان بكـــــر وتغـلب

ولا تتشلت عضوين منها بحابر وكان لعبد القيس عُضّو وغُرَّبُ

وما كانت الأنصار فيها أذلـــة ولا غيبا عنهـا إذا النـاس غـيب

هم شهدوا بدرًا وخيبر بعـدهـا ويـــوم حنين والـدمـــاة تـصبب[2]

فالكميت في هذه الأبيات استخدم أسلوبًا مميّزًا ليبين لخصومه أحقية بني هاشم في الخلافة، فهو استخدم أسلوب الإخبار عن الغائب ليكون عنصرًا مساعدًا في بلوغه لغايته والمتمثّلة في السّخرية من خصومه ويدينهم بزيف ادعائهم.

ولا نغفل الإشارة إلى نوع أخر من أنوع السخرية، وهو أسلوب قائم على التّشكيك فيه

---

[1] برنودوني، عناصر البراغماتية اللسانية، منشورات مينوي، 1982م، ص 182.

[2] شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، ص 62 ـ 63 ـ 64.

وقع طريف وله تأثير على النفس، فالشاعر لا يوغل في المعنى ولا يحسم الموقف بليعمد إلى التشكيك خالقًا جوًّا ساخرًا يدعم الحجاج القائم في القصيدة.[1]

ومن أكبر الأحداث كانت مصيبة علينا قتيل الأدعياء الملحب

قَتِيلُ بِجَنْبِ الطَّفِ من آلِ هاشمٍ فيالك لخمًا ليس عنه مذنب[2]

يتحدّث الكميت عن مقتل الإمام علي مخاطبًا إياه وكأنّه حاضر ممثلا له بعلة مكانته وعظمته، ولكنه في الوقت نفسه يسخر من الّذين قتلوا علّي ويرسم لهم صورة ساخرة وأورد ذكر آل هاشم ليبن أن المقتول من سادة قريش والقتلة هم أولاد أدعياء معروف عنهم الوضاعة والخبث في نسبهم مسومين بالضلال.

5. الضمير المجهول ودوره الحجاجي:

إن حديثنا في الخطاب الحجاجي عن الأصوات وتنّوع مهامها، إذ نجد صوت المتكلّم المتكلّم المدافع عن فرضية المنتصر لقضية، وصوت المعارض الرافض وصوت المتردّد الشاك وأصوات أخرى كثيرة يستحضرها المتكلّم ويجادلها ويحاججها ليستشهد بها وبموقفها. غير أنّ الضمير المجهول الّذي يقابلة بالفرنسية (*On*) يظلّ أكثر ما في الخطاب تعبيرًا عن تعدّد الأصوات فهو كما يذهب إلى ذلك الدارسون شخص متعدّد

[1] سامية الدريدي، في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، ص 167.

[2] شرح هاشميات الكميت بن زيد، ص 84 ـ 85.

الأصوات على نحو متميز لا يضاهيه فيه أحد.[1]

ويستعمل الضمير المجهول على الأقلّ في غايتين:

الأولى تعبّر عن وجهة نظر مناقضة لوجهة نظره، قائمة مقام هم، الآخرون الخصوم والمعارضون والثانية مقام المساندين المعاضدين لما يقدّمه المتكلّم من أفكار .

وفي هذه الغاية نذكر ما جاء على لسان الكميت من قوله في بائيته:

ومن غيرهم أرضى لنفسي شيعةً ومن بعدهم لا مـن أجل وأرجب

أريب رجالًا منهم وتربيتي خلائـق مما أحدثوهن أريب

إليكم آل النّبي تطلعت نوازع من قلبي ظماء وألبب

فإنّي عن الأمر الّذي تكرهونه بقولي وفعلي ما استطعت لا جنت

يتحدّث الكميت بن زيد في شعره بلغة الغائب لبين من هم أحق بالانشغال بهم وترك ملذات الدنيا لأتباعهم، وهو يورد صورة الغائب ليعدد فضائلهم فهم أولوا سماحة وكرم ورزانة وثبات في مواطن القتال، والملاحظ أنّه وظف ضمير الغائب ليجذب انتباه المتلقّي وإثارة تشويقه وفضوله ودفعه إلى التّأمل في واقعه، ويظهر أنّ الوظيفة

[1] أيناس أويكيو و كارولين ماسران وكلود بيران شامير، تعددية الأصوات في الخطابات الحجاجية تطبيقات، عدد 73، مارس، الحجاج المكتوب، ص 25.

الحجاجية للضمير الغائب تمثّلت في خلخلة السكون القائم وتشكيل إحساس دافع إلى الخروج والسعي.

ثانيًا: بنية الحجاج في قصيدة "خير بني حواء" للكميت بن زيد:

وللحديث عن البنية الحجاجية في الشعر العربي اعتمدنا تصنيف برلمان ـ تيتكاه في كتابهما المذكور مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة تصنيفا استخرجه عبد الله هولة و وضّحه بدقة في مقاله المذكور في كتاب أهم النظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم وعلى هذا المقال كان تعويلنا في كلّ ما سنعرضه في هذا الباب.[1]

والهام أنّ هذا التصنيف يبدو مقنعاً لأنّه يبرز الفوارق بين الحجج، ويظهر الاختلافات الدقيقة بينهما، كما يحيط بكلّ الحجج تقريبًا على نحو يعسر معه العثور على حجة لا يمكن ردها إلى أحد الأصناف المعتمدة وإن كنا نقر بها لاحظناه سابقًا من إجرائية هذا الفصل وعدم خلوه من إشكالات أهّمها على الإطلاق إمكان رد حجة ما إلى أكثر من مصنّف، وذلك لانفتاح البيت على أكثر من تأويل ولطبيعة الحجاج البعيدة عن الصرامة والدقة الّتي لا تظهر بهما إلّا في مجال البرهنة العلمية، علـى أننا

[1] عبد الله هولة، الحجاج أطره ومطلقاته وتقنياته من خلال مصنف الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه، كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم لفريق البحث في البلاغة والحجاج بإشراف حمادى صمود، ص 324 ـ 348.

نؤكد منذ البداية أنّها أصناف جامعة لعدد من الحجج الفرعية، لذلك سنضطر في كلّ صنف إلى التوقف عند حجج كثيرة تشترك في طبيعتها وبنيتها العامة لكنها تتباين وقد تتعارض في أمور جزئية سنعود إليها وهذه الأصناف الكبرى هي:

1. الحجج شبه المنطقية:

إنّ النعت المعتمد في هذا المصنف شبه منطقية لافت للانتباه، بل مجبر في ظاهره إذ يفترض في الحجة أن تكون منطقية أو لا منطقية، أما هذه المنزلة بين المنزلتين فإنها تثير إشكالا، مجبرا تماما كأي منزلة وسطى متأرجحة بين قطبين متناقضين ولكننا نعلم كذلك: أن الحجاج في جوهره ينبذ قانون الكلّ أو لا شيء أي يرفض الصرامة في ضبط الحدود والفروق ويجد في المنطقة الوسطى المتشحة بالغموض تربة خصبة.

فحقيقة هذه الحجج أنّ كلّ حجة منها تستند إلى مبدأ منطقي كالتطابق والتعددية أو التناقض، ولكنها خلافاً للحجج المنطقية الخالصة يمكن أن يسير بدعوى أنها ليست منطقية، يقول برلمان موضحا هذا الأمر أنها حجج تدعي قدرا محددا من اليقين من جهة أنها تبدو شبيهة بالاستدلالات الشكلية المنطقية أو الرياضية ومع ذلك ـ فإن من يخضعها إلى التحليل ينتبه في وقت قصير إلى الاختلاف بين هذه الحجج والبراهين الشكلية لأن جهدا يبذل في الاختزال أو التدقيق فحسب يكون ذا طبيعة لا صورية ـ

يسمح بمنح هذه الحجج مظهرًا: برهانيًا ولهذا السبب ننعتها بأنّها شبه منطقية.[1] هذا يعني أن الحجج شبه المنطقية تتخذ قالبا منطقيا شكليا فيه تحشر المعطيات وتكيف فتجعلها شبيهة باستدلال منطقي صلرم، فما يميزها إذن حقيقتها اللاشكلية الّتي تجتهد في أن تكون شكلية، أو تعدل وتبدل لتكون كذلك، ويذهب برلمان في هذا المجال إلى أن من يعتمد حججا شبه منطقية في خطابه الحجاجي قد يحاول أحيانا كثيرة بمرجعه الاستدلالي بحيث يشكل النسيج الداخلي للحجة.[2]

وقالوا ورثناها أبانا ولِمّنا وما ورثتهم ذاك أُمولا أبّ

ولكن مواريث ابن آمنة الّذي به ذان شرقي لكم ومغرّب

فدى لك موروتا أبي وأبو أبي ونفسي ونفسي به بالّناس آطيب[3]

ويقول :

فما لي إلّا آل أحمد شيعة وما لي إلا مشعب الحق مشعب

ومن غيره أرضى لنفسي شيعة ومن بعدهم لا من أجل وأرجب[4]

---

[1] برلمان وتيتكاه، مصنف في الحجاج، ج1، ص 259.

[2] المرجع نفسه، ص 260.

[3] شرح هاشميات الكميت بن زيد، ص 59 ـ 60.

[4] المرجع نفسه، ص 50 ـ 51.

لقد استعان الكميت بن زيد في سبيل الاحتجاج لآل البيت، بكلّ وسائل الإقناع وتحوّل الشعر عنده إلى جدال صرف واحتجاج خالص وصياغة للأدلّة العقلية والنقلية وأضحى في هذه الأبيات متّصلًا بمنابع العقل بعد أن كان ارتباطه بالعاطفة أقوى وأوضح إذ حمل على أعداء آل البيت مبرزًا حقهم في خلافة النّبي.

وهم رانموها ذا ثرو وأشبلـــوا عـليها بأطراف القنا وتحدبــوا

فإن هي لم تصلح لقوم سواهم فإن ذوي القربى أحق وأقـرب

وإلا فقولـــوا غـيرها تتعرفـــو نواصـها تردي نباو هي شرب

تقــتلهـم جيلًا فـجيلًا نراهــم شعائـــر قربان بهـم يتقـــرب[1]

يتم الاستدلال أحيانًا كثيرة بناء على المثال المفرد المعزول الّذي يعمد لتعميم حكم ما أو فكرة معينة، فيتأسّس الواقع على ظاهرة مفردة يتّم توسيعها بحيث تصبح حالة عامّة لا مجرّد حالة خاصّة تم الانطلاق منها وبناء الواقع عليها، كذلك فعل الكميت يؤكد الشاعر على أحقية آل البيت على الخلافة.

2. الحجج المؤسسة على بنية الواقع: لا يعتمد هذا الصنف من الحجج على المنطق وإنّما يتأسّس على التجربة وعلى علاقات حاضرة بين الأشياء المكونة للعالم

[1] شرح هاشميات الكميت بن زيد، ص 66.

فالحجاج هنا ما عاد افتراض وتضمين بل أصبح تفسيرًا وتوضيحًا، تفسير للأحداث والوقائع وتوضيحًا للعلاقات الرابطة بين عناصر الواقع وأشيائه. فالمتكلّم متى اعتمد هذا الصنف من الحجج إنّما يذهب في الواقع إلى أنّ الأطروحة الّتي يعرضها تبدو أكثر إقناعًا كلّما اعتمدت أكثر على تفسير الواقع والأحداث، وأنّ الخطاب الحجاجي يكون أنجع وأقدر على الفعل في المتلقّي والتأثير فيه كلّما انغرست مراجعه في الواقع وتنزّلت عناصره فيما حدث وما يحدث. والواقع أنّ الحجج المؤسسة على بنية الواقع كثيرة وشائعة في أشعار القدماء.

وحين نقف أمامقصائد الكميت نجده قد اعتمد البُنية الحقيقية معيارا فنيا متخذا من ذلك الاستهلال وسيلة للدخول في واقعية الحدث حيث يقول:

ولم يُلهني دار ولا رســم منزلٍ ولم يتطربني بنان مخضّــبُ

ولا أنا ممن يزجر الطّير همّـه أصاح غُرابٌ أم تعرّضَ ثعـلبُ

ولا السانحات البارحات عـشية أمر سليم القرن أم مرّ أغضبُ

ولكنّ إلى أ هل الفضائل والّنهى وخير بني حواء والخير يطلبُ[1]

[1] شرح هاشميات الكميت بن زيد، ص 43 ـ 44 ـ 45.

من هنا عمل الكميت في بناء بنيته باختصار صفات تحمل من الواقعية في أذهان المتلقين من محبّي آل البيت (عليهم السلام) بطريقة حجاجية مؤسسة على واقعه.

3. الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

نهتم في هذا العنصر بصنف ثالث من الحجج تربطها صلة وثيقة بالواقع، ولكّنها لا تتأّسس عليه ولا تتبني على بنية وإّنما هي الّتي تؤّسس هذا الواقع وتبنيه أو على الأقل تكّمله وتظهر ما خفي من علاقات بين أشيائه أو تجلي ما لم يتوقع من هذه العلاقات وما لم ينتظر من صلات بين عناصره ومكّوناته.

4. الحجج الّتي تستدعي القيم:

يتخذ الحجاج أحيانًا كثيرة أشكالًا أقل موضوعية يراها الكثيرون "ملزمة" إذ تهدف فرض الرأي وتسعى إلى إظهار الفرضيات على أّنها حقيقة لا لبس فيها، بحيث تجبر المتلقّي على اختيار ما ولا تتورّع عن استعمال الترهيب والتّرغيب وحمل الجميع على الإذعان، اعتمادًا على حجج ذات سلطة "فاتنة" فيدخل الحجاج عندها وبسهولة فائقة باب التوجيه، ويتحول الإقناع إلى هجوم.

فالمحتّج لتبرير الآراء وإثبات المواقف يعتمد قيًما ينتقيها بدقة بحيث تلائم أهدافه الحجاجية وغايات خطابه المنشودة، فترى المتكلّم يرفض فكرة ما بحجة أنها تعارض

قيمة معّينة، ويدعو إلى موقف ما باسم قيمة محدّدة وينعى على الخصم سلوكا ما لأنه يتنافى مع قيمة واحدة أو مجموعة قيم.

فإذا قلبنا الصفحات في بائية الكميت بن زيد نجده قد أفرغ عقيدته الناطقة فيها بمظلومية أهل البيت والصارخة بالرفض بوجه الحكم الأموي.

حيث سجّل مواقف مشرفة وشجاعة في نصرة الحق وأهله، فمتى دافع الكميت عن قضية جعلها حقا خالصا، وإن دعا إلى أمر ألبسه ثوب الحقيقة ونفى أن يكون مجرّد فرضية أو محض احتمال، فيكون بذلك قد احتجّ لآرائه وبرر مواقفه استنادًا إلى قيمة الحق، وهي قيمة فاعلة دون شكّ مؤثرة استعملها الكميت كوسيلة حجاجية تفصح عن إيمانه المطلق بأهل البيت إذ يقول:

يـُعيرُ بَني حِمالُ قَوْمي بِحُبِهِمْ وَبَعْضُهُمْ أَنْنَى لِعارٍ وَأَعْطَبُ

بِأَيِّ كِتابٍ أُمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ تَرى حُبَّهُمْ عاراً عَلَيَّ وَتَحْسَبُ

تَفَرَّعُ مِنْها سِنُ خَزْيانَ نادِمٍ إِذا الْقَوْمُ ضَمَّ النّاكِثِينَ الْعَصَبْصَبُ

فَلِي إِلّا آلِ أَحْمَدُ شِيعَةٍ وَلِي إِلّا مُشَعَّبُ الحَقَّ مُشَعَبُ

---

(1) شرح هاشميات الكميت بن زيد، ص 49 ـ 50.

فهذه الأبيات تفصح عن العداء الأموي المتخذ لأهل البيت وشيعتهم، والفترة المرعبة الّتي مرّوا بها المسلمين أيام الحكم الأموي، التي اعتبرت بمثابة الفترة السوداء التي زرعت الّرعب في البلاد الإسلامية وألقت بضلال الجاهلية على أجوائها.

خاتمة

إلى هنا يكون هذا البحث قد استوفى – بعون الله وفضله – فصوله ومباحثه بعد دراستنا للبنية الحجاجية في قصيدة "خير بني حواء" «الكميت بن زيد» توصلنا إلى أساليب الحجاج بتقنياته المختلفة الّتي أسست بنية هذه القصيدة، وهو العامل الأساسي الّذي جعلها تحقّق فاعليتها الإقناعية، باعتبار أنّ الحجج المشكلة لمختلف الطرائق الاتّصالّية فيها تحمل في ذاتها طاقة حجاجية ظاهرة أو ضمنّية، تجعلها أكثر قّوة لحمل الطقّي على التسليم بما يعرض عليه من أفكار وأطروحات واقناعة بها.

وفي ظل" هذه المحاولات العلمّية آن لنا أن نخلص إلى جملة من الّنتائج، تعّد بمثابة استنتاجات توصلنا إليها من خلال هذا البحث، وهي:

1. توصلنا إلى أنّ الحجاج فعل لغوي غائي، يتحقّق بين ذوات فعلة ونشيطة يسعى المرسل من خلاله إلى حمل المتلقّي على الإذعان، والسعي إلى اقناعه بشتى الآليات المختلفة.

2. يحيل الخطاب الحجاجي بعلاقته الداخلية على القصيدة، سواء من خلال الأفعال المباشرة أو غير مباشرة، أو من خلال الروابط الحجاجية، فالحجاج متعلّق بالخطاب.

3. محاولة "بيرلمان" الرائدة التي سعت إلى إخراج المفاهيم الحجاجية من صلب البلاغة التقليدية وإكسابها طاقة حجاجية، يسعى المحاجج إلى توظيفها في خطاباته المتنوعة لتحقيق عملية الإقناع، وهو ما أدى إلى تسمية هذا النزوع بالبلاغة الجديدة.

4. تعدّدت الأساليب والآليات الحجاجية في القصيدة بين ما هو بلاغي(استعارة ،كناية) وبين ما هو لغوي تداولي(التكرار، الروابط الحجاجية، الأساليب الإنشائية والسخرية).

5. لقد كانت الاستعانة بالأساليب البلاغية من استعارة وكناية كثيرة الورود في قصيدة خير بني حواء لجأ إليها الشاعر في بناء أساليبه الحجاجية.

6. توفرت آلية التكرار في القصيدة ممّا زاد الأفكار والتعابير تأكيدًا وقوّة.

7. لعبت اللّغة دورًا في القصيدة لأنها حجاجية بطبعها إذ تعد آلية حجاجية لما تتضمّنه من أساليب الإخبار وربط الجمل.

8. اهتمام "بيرلمان" بالحجج المؤسسة للتّقنّيات الحجاجية وقسمها إلى أربعة أنواع وهي:

أ) **الحجج الشبه منطقية:** التي تكون نتائجها نسبية وغير ملزمة وتفتقر إلى الصرامة إلّا أنّها تحتفظ بقدرتها على الإقناع.

ب) **الحجج المؤسسة على بنية الواقع:** التي تستند في أساسها إلى الواقع وتقوم على الوقائع والأحداث المتعلقة بين الأشياء المكّونة لهذا الواقع.

ج) الحجج المؤسسة لبنية الواقع: التي لا تقوم على الواقع بل تعيد بناءه بواسطة الحالات الخاصة التي تسعى إلى تأكيد أو توضيح قضية معّينة.

د) الحجج التي تستدعي القيم: يعتمد فيها المحتج على قيما ينتقيها بدقة بحيث تلائم أهدافه وأغراضه الحجاجية.

وبما أنّ صفة الكمال متعلّقة بذات الله تعالى وحده لا غير سواه، يكون هذا البحث قد استوفى فصوله ومباحثه، ومنه يمكن القول أن قصيدة "بني حواء" «الكميت بن زيد الأسدي» من أهم القصائد التي يمكن أن تطبق عليها إجراءات النظريات الحجاجية.

الممحق

لمحة عن الكميت بن زيد:

يعتبر الكميت بن زيد الأسدي من أوائل شعراء الإسلام الّذين جعلوا من الشعر أداة للتّعبير عن آرائهم ومواقفهم، وكان لذلك أثره البعيد في تثقيف جمهور الناس الّذين استلهموا من هذه الأشعار روح الثورة وفكرة الإصلاح والتّغيير.

مولده ونسبه:

هو الكميت بن زيد الأسدي، لقبه أبو المستهل، نسبه ينتهي عند مُضَر، ولد في الكوفة سنة 60 هـ على عهد بني أمّيّة وقضى شطرًا من صباه في مسقط رأسه، حيث تغذى فكره بثورة الحسين عليه السّلام، وقد عرف عنه في مطلع حياته أنّه كان يعلّم الصّبيان في مسجد الكوفة، ثّم نبغ في الشعر حتّى أضحى من فحول الشعراء في عصره، حيث ارتسمت في قصائده صورة العصر وانعكست في مرآة أدبه حياة المجتمع من الناحيتين الاجتماعية والسياسية.

أخلاقه وصفاته:

كان عالًما بلغات العرب، خبيرًا بأيامها، وكان فيه عشر خصال لم تكن في شاعر: « كان خطيب بنيأسد، فقيهً ا، حافظًا للقرآن الكريم، ثبت الجنان، كاتبًا حسن الخط نشابة جدلًا، أول من ناظر في التشيع، راميًا لم يكن في بني أسد أرمى منه، فارسًا شجاعًا، مخيًّا ديّنا».

وكان معروفاً بموالاته لأهل البيت عليهم السّلام مشهورًا بذلك، كما تشهد بذلك القصائد الهاشميات، وهي من جيد شعره ومختاره، وكان جريئًا، مستبسلًا في الدّفاع عن عقيدته، حتّى ولو كلّفته حياته، وقد عانى في سبيل ذلك ألم السّجن والتّشرّد والغربة حتّى فاز بالشهادة.

منذ مطلع شبابه أظهر الكميت بن زيد ذكاءً نادرًا، كما شهد له بذلك الشاعر الفرزدق.

ولاَ لَعِبَاً أَنْو الشَّيبِ يَلعَبُ طَربتُ وما شَوقاً إلى البِيض أَطرَبُ

ولم يَتَطَرَّبنِي بَنضانٌ مُخَضَّبُ ولم يُلهنِي دارٌ ولا رَسمُ مَنزِلِ

أصَاحَ غُرَابٌ أم تَعَرَّضَ ثَعلَبُ وَلاَ أنَا مِمَّن يَزجرُ الطَّيرُ هَمُّهُ

أمَرَّ سَلِيمُ القَرن أم مَرَّ أَعضَبُ ولا السَّانِحَاتُ البَارِحَاتُ عَشِيَّةً

وَخَير بَنِي حَوَّاءَ والخَيرُ يُطلَبُ وَلكِن إلى أهل الفَضَائِلِ والنُّهَى

إلى الله فِيمَا نَابَنِي أتَقَرَّبُ إلى النَّفَر البيض الذِينَ بِحُبِّهم

بِهم ولَهُم أَرضَى مِرَاراً وأغضَبُ بَنِي هَاشِمٍ رَهطِ النَّبِيِّ فإنَّنِي

إلى كَنَفٍ عِطفَاهُ أهلٌ وَمَرحَبُ خَفَضتُ لَهُم مِنّي جَنَاحَي مَوَدَّةٍ

مِجَنّاً عَلَى أنِّي أُتُّم وأُقصَبُ وَكُنتُ لَهُم من هَؤُلاكَ وهَؤُلا

وإنّي لأوذى فِيهُم وأُوَثَّبُ وأُرمى وأرمي بالعَدَاوَةِ أهلَها

بِعَوراء فِيهم يَجتَنِينِي فَيَجذُبُ فَمَا سَاءَني قَولُ امرىءٍ ذِي عَدَاوةٍ

يَرى الجَورَ عَدلاً أينَ تَذهَبُ فَقُل لِلذي في ظِلِّ عَميَاءَ جَونةٍ

تَرَى حُبَّهُم عَاراً عَلَيَّ وتَحسَبُ ... بِـأيِّ كِتَابٍ أَمْ بِـأيَّةِ سُنَّةٍ

وَبُغضِي لَهُم لاَجَير بَل هو أشجَبُ ... أَ أَسلَمُ ما تَأتِي بِهِ من عَدَاوَةٍ

إِذَا اليَومُ ضَمَّ النَّاكِثِينَ العَصَبصَبُ ... سَتُقرَعُ مِنهَا سِنُّ خَزيَانَ نَادِمِ

وَمَا لِيَ إلاَّ مَشعَبَ الحَقِّ مَشعَبُ ... فَمَا لِيَ غلاّ آلَ أحمدَ شيعةٌ

ومن بَعدَهُم لاَ مَن أُجِلُّ وأُرجَبُ ... وَمَن غَيرَهُم أرضَى لِنَفسِيَ شِيعَةً

خَلاَئِقُ مِمَّا أَحدَثُوا هُنَّ أَرِيَبُ ... أُرِيبُ رِجَالاً منهم وتُرِيبُنِي

نَوَازِعُ من قَلبِي ظِماءٌ وألبَبُ ... إلَيكُم ذَوِي آل النَّبِيِّ تَطَلَّعَت

بِقَوولي وَفِعلِي ما استَطَعتُ لأجنَبُ ... فإنِّي عَن الأمر الذي تكرَهُونَهُ

أَلاَ خَابَ هَذَا والمُشِيرُونَ أخيَبُ ... يُشِيرُونَ بالأيدِي إليَّ وَقَولُهُم

وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيءٌ وَمُذنِبُ ... فَطَائِفَةٌ قد أكفَرَتنِي بِحُبِّكُم

ولا عَيبُ هاتِيكَ التي هِيَ أعيَبُ ... فما سَاءَنِي تَكفِيرُ هَاتِيكَ مِنهُمُ

على حُبِّكُم بَل يَسخُرون وأعجَبُ ... يُعيبُونَنِي من حُبِّهِم وَضَلاَلِهِم

بذلِكَ أُدعَى فِيهُم وألَقَّبُ وقالوا تُرَابِيٌّ هَوَاهُ ورأيُه

ولو جَمَعُوا طُرَّاً عليَّ واجلَبُوا على ذلك إجريّايَ فيكُم ضَريبَتي

وَيُنصَبُ لِي في الأبعَدِينَ فَأنصُبُ وأحمِلُ أحقَادَ الأَقارِبِ فِيكُم

فَلَم أرَ غصباً مِثلَهُ يَتَغصَّبُ بِخاتِمِكُم غصباً تَجُوزُ أُمورُهُم

تَأوَّلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُعربُ وَجَدنَا لَكُم فِي آل حَامِيمَ آيةً

لكم نَصَبٌ فِيهَا لِذِي الشَكِّ مُنصِبُ وَفِي غَيرِهَا آياً وآياً تَتَابَعَت

وبِالفَدِّ مِنها والرَّدِيفَين نُركَبُ بِحَقِّكُمُ أمسَت قُرَيشٌ تَقُودُنا

أنَاخُوا لأخرَى والأزِمَّةُ تُجنَبُ إذا اتَضَعُونَا كارهينَ لِبَيعَةٍ

وَهَمُّهُمُ أن يَمتَرُوهَا فَيحلُبُوا رُدَافَى عَلَينَا لَم يُسِيمُوا رَعِيَّةً

فَيفتَصِلُوا أفلاَءَها ثُمَّ يَربُبُوا لِينتَتِجُوهَا فِتنَةً بَعدَ فِتنَضةٍ

وَسَاسَتْنا مِنهُم ضِبَاعٌ وأذؤُبُ أقارِبُنَا الأَدنُونَ مِنهُم لِعَلَّةٍ

يُقَحِّمُنا تِلكَ الجَراثِيمَ مُتعِبُ لَنَا قَائِدٌ مِنهُم عَنِيفٌ وسَائِقٌ

وَمَا وَرَّثَتهُم ذَاكَ وَلاَ أبُ وَقَالُوا وَرِثنَاهَا أبَاأنضا وأُمَّنَا

سَفَاهاً وَحَقُّ الهَاشِمِيينَ أوجَبُ يَرَونَ لَهُم فَضلاً عَلَى النَّاس وَاجباً

بِهِ دَانَ شَرقِيّ لَكُم وَمُغَرِّبُ وَلَكِن مَوَاريثُ ابن آمِنَةَ الذِي

وَنَفسِي وَنَفسِي بَعدُ بِالنَّاس أطيَبُ فِدَىً لَكَ مَورُوثاً أَبِي وأَبُو أبِي

فَنَحنُ بَنُو الإسلاَمِ نُدعَى وَنُنسَبُ بِلِلجتَمَعَت أَنسَابُنَا بَعدَ فُرقَةٍ

وموتُك جَدعٌ للعَرانين مُرعَبُ حياتُك كانت مجدَنا وسناءنا

علينا وفيما احتازَ شرقٌ ومغربُ وأنت أمينُ الله في الناس كلِّهم

ونُعتَبُ لو كنا على الحق نُعتَبُ ونستخلفُ الأمواتُ غيرك كلَّهم

وبُوركتَ عِندَ الشَّيبِ إذ أنتَ أشيَبُ وبُوركتَ مَولُوداً وبُوركتَ نَاشِئاً

بِهِ وَلَهُ أهلٌ لِذَلِكَ يَثرِبُ وَبُورِكَ قَبرٌ أنتَ فِيهِ وبُوركَت

عَشِيّةَ وَارَاكَ الصَّفِيحُ المُنَصَّبُ لَقَد غَيَّبُوا بِرَّاً وصِدقاً ونَائِلاً

لَقَد شَرِكَت فِيهِ بَكِيل وأرحَبُ يَقُولُونَ لَم يُورَث وَلَولا تُرَاثُه

وكِندَةُ والحَيَّان بَكرٌ وتَغلِبُ وعَكٌّ ولَخمٌ والسَّكُونُ وحِميَرٌ

وكَانَ لِعَبدِ القَّيس عِضوٌ مُؤَرّبُ وَلاَنتَشَلَت عِضوَين مِنهَا يُحَابِرٌ

وَلاَقتَدَحَت قَيسٌ بِهَا ثم أثقَبُوا ولانتَقَلَت من خِندِفٍ في سِوَاهُمُ

وَلاَ عُيّبَاً عَنها إذَا النَّاسُ عُيَّبُ وَمَا كَانَتِ الأنصَارُ فِيهَا أذِلَّةً

ويومَ حُنَين والدِّمَاءُتَصَبَّبُ هُمُ شَهِدُوابَدراً وخَيبَرَ بَعدَها

عَلَيهَا بِأطرَافِ القَنَا وَتَحَدَّبُوا وَهُم رَئِموها غيرَ ظَأرٍ وأشبَلُوا

فَإن نَوي القُربَى أحَقُّ وأقرَبُ فَإن هِيَ لَم تَصلُح لِحَي سِوَاهُمُ

نَوَاصِيهَا تَردِي بِنَا وهيَ شُزَّبُ وإلاّ فَقُولُوا غَيرَها تَتَعَرفُوا

بِغَارَتِنا بَعدَ المَقَانِبِ مِقنَبُ عَلاَمَ إذَا زَار الزُّبيرَ وَنَافِعاً

وَتَحويلِها عَنكُم شَبِيبٌ وَقَعنَبُ وَشَاطَ عَلَى أرمَاحِنا بآذَعائِهَا

شَعَائِرَ قُربانٍ بِهِم يُتقَرَّبُ نُقَتِّلُهم جيلاً فجيلاً نَرَاهُمُ

وذَا سَلَبٍ منهم أنِيقٍ سَيُسلَبُ لَعَلَّ عَزيزاً آمناً سَوفَ يُبتَلَى

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم صحراوي، تحليل الخطاب الأدبي ـ دراسة تطبيقية ـ، دار الأفاق، الجزائر ط 1، 1999م.

2. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محّمد محي الّدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

3. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط4، 2005م، مادة(حَجَج)

4. أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، مقاييس اللّغة، ط1، مج2، دار الجيل، بيروت 1991م.

5. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر بيروت، 1992م.

6. أبو الوليد الباجي، المخارج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد التركي، ط2، دار المغرب الإسلامي، المغرب 1987م، عدد 12 ديسمبر 1997م.

7. أبو هلال العسكري، الصناعتين.

8. الحواس مسعودي، البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل أنموذجًا، مجلة اللّغة والأدب، جامعة الجزائر.

9. الرازي؛ مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1967م مادة(حجج).

10. القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح محّمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محّمد البجاوي، ط4، 1966م.

11. أوليفي روبول، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاغي؟، ترجمة محّمد العمري، مجلة علامات في النقد، الجزء الثاني والعشرون، المجلد السادس، ديسمبر: 1996م.

12. برلمان وتيتيكاه، مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة، المطابع الجامعية، بليون 1981، ج1.

13. بيار أوليران، الحجاج.

14. جيل دكلارك، فن الحجاج البنى الخطابية والادبية، المنشورات الجامعية 1922م

15. حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء.

16. ديكرو والسلالم الحجاجية، منشورات مينوي، باريس، 1980م.

17. ديكرو وانسكمبر، الحجاج في اللغة، بروكسيل، 1983م.

18. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ـ بنيته وأساليبه ـ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، جدار الكتاب العالمي، ط1، 2008م.

19. شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي، أبي رياش أخمد بن إبراهيم القيسي، تح: داوود سلوم ونوري الحمودي القيسي، طبعة2، بيروت، 1406هـ - 1986م.

20. طه عبد الرحمان، اللّسان أو الميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1998م.

21. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط1، 2000م، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.

22. عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب "مقاربة لغوية تداولية"، ط1 2004م، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت.

23. فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي محمود أهم النظريات الحجاجية في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، *XXIX* سنة 1998م.

24. لويس معلوف، المنجد في اللّغة والإعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د.ط.

25. ماري جان بورال وجان بلاقريز وديس ميافيل، بالتعاون مع ج. كوهلر شسني و.م.أبيل، محاولة في المنطق الطبيعي، الطبعة الثانية، بارن، 1992م.

26. محّمد النويري في كتاب " أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية".

27. محّمد النويري في كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.

28. محمّد صلاح الّدين الشريف، تقديم عام للاتجاه البراغماتي، أهم المدارس اللّسانية، مارس 1986م.

29. منطق أرسطو، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمان بدوي، ط1، 1980م، ج3.

30. ميشال لوقرن، الاستعارة والحجاج، ترجمة د. طاهر عزيز، مجلة المناظرة، العدد4 ماي 1991م.

31. نور الدين الشد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، دار هومة، الجزائر، د.ط، 1997م.

32. هشام الريفي، في الغرض أو أعمال القول الشعري عند العرب القدامى، ورد ضمن: مشكل الجنس الأدبي في الأدب القديم، أعمال الندوة الّتي نظمها قسم اللّغة العربيّة بكلية الأدب، من 22 إلى 24 أفريل 1993م، منشورات كلية الأدب، منوبة 1994م مجلد x.

33. ينوا رونو، النص الحجاجي، منشورات كيباك، 1993م.